# جميل القيم

## في شرح

# عنوان الحكم

لأبي الفتح علي بن محمد البُستي

كتبه أبو أسامة

مشير بن أحمد الشرعي

مركز السنة في السويداء

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

## المقدمة

إنَّ الْحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا الله وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: ١

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ١٠٢

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب: ٧٠ – ٧١

أَمَّا بَعْدُ: فهذا شرح لمنظومة أبي الفتح البستي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – يسر الله بكتابته، وكان ذلك؛ لمدارسة هذه المنظومة وحفظها مع الإخوة، حيث نأخذ معهم بعض المتون وكان هذا بعد الانتهاء من تائية أبي إسحاق الإلبيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ –، ومن منظومة القواعد الفقهية للسعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –.

كتبه: أبو أسامة مشير بن أحمد الشرعبي

وذلك بتاريخ/ ٢٤/ جمادى الأولى/ ١٤٤٦هجرية

في مركز السنة بالسويداء ـ ماوية ـ تعز

## ترجمة أبي الفتح البستي

**البستي هو**: العَلاَّمَةُ، شَاعِرُ زَمَانِه، أَبُو الفَتْحِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ البُسْتِيّ الكَاتِب.

قَالَ الحَاكِمُ بَعْدَ أَنْ رَوَى عَنْهُ: هُوَ وَاحِدُ عَصْرِهِ، حَدَّثَنَا أَنَّهُ سَمِعَ الكَثِيْرَ مِنْ أَبِي حَاتِمٍ بن حِبَّان.

قُلْتُ(الذهبي): وَرَوَى عَنْهُ: الحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ البَرْدَعِيُّ، وَشَيْخُ الإِسْلاَمِ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُوْنِيّ، وَآخَرُوْنَ. مَاتَ: سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَع مائَة. وَلَهُ نَظْمٌ فِي غَايَة الجَوْدَةِ، كَبِيْرٌ، سَائِرٌ بَيْنَ الفُضَلاَء. "سير أعلام النبلاء" ط الرسالة (١٧/ ١٤٨).

**وقال السبكي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: عَلِيّ بن مُحَمَّد وَقيل عَليّ بن أَحْمد، ثمَّ قيل اسْم جده حُسَيْن بن يُوسُف بن عبد الْعَزِيز وَقيل الْحسن.

هُوَ أديب زَمَانه أَبُو الْفَتْح البستي قَالَ الْحَاكِم: هُوَ وَاحِد عصره حَدثنِي أَنه سمع الْكثير من أبي حَاتِم بن حبَان.

روى عَنهُ الْحَاكِم، وَأَبُو عُثْمَان الصَّابُونِي، وَالْحُسَيْن بن عَليّ البردعي

**قَالَ الْحَاكِم**: ورد نيسابور غير مرّة فَأَفَاد حَتَّى أقرّ لَهُ الْجَمَاعَة بِالْفَضْلِ.

قلت: هُوَ من بست بِضَم الْبَاء الْمُوَحدَة وَإِسْكَان السِّين وَآخِرهَا التَّاء الْمُثَنَّاة من فَوق؛ كَانَ أديبا مُطلقًا نظما ونثرا، وَله فِي الشَّافِعِي رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ وَفِي مُخْتَصر الْمُزنِيّ مدائح كَثِيرَة.

كَانَ صديقا لبلديِّه أبي سُلَيْمَان الْخطابِيّ.

قَالَ ابْن الصّلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَهُوَ على ذَلِك من الشُّعَرَاء الَّذين هم فِي كل وَاد يهيمون وَلكُل برق يشيمون فَلذَلِك جَاءَ عَنهُ فِي تَحْلِيل النَّبِيذ أَبْيَات ولتزكية الكرامية أَبْيَات وَلَكِن عِنْدَمَا علت بخراسان كلمتهم وشاكت أهل السّنة شوكتهم. "طبقات الشافعية الكبرى"(٥/ ٢٩٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: له ديوان جيد قوى، وله في المطابقة والمجانسة اليد الطولى، ومبتكرات أولى. "البداية والنهاية" ط الفكر (١١/ ٢٧٨).

وفي "الأعلام" للزركلي (٤/ ٣٢٦): ولد في بست (قرب سجستان) وإليها نسبته. وكان من كتاب الدولة السَّامانية في خراسان، وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين، وخدم ابنه يمين الدولة (السلطان محمود، ابن سُبُكْتِكِينَ) ثم أخرجه هذا إلى ما وراء النهر، فمات غريبا في بلدة " أُوزجَند " ببخارى. له " ديوان شعر – ط " صغير، فيه بعض شعره. وفي كتب الأدب كثير من نظمه غير مدوّن. ا.هـ.

قال الثعالبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: صَاحب الطَّرِيقَة الأنيقة فِي التَّجْنِيس الأنيس البديع التأسيس وَكَانَ يُسَمِّيه الْمُتَشَابه وَيَأْتِي فِيهِ بِكُل طَرِيقَة لَطِيفَة... مَا أرَاهُ فأرويه، وألحظه فأحفظه

وأسأل الله بَقَاءَهُ حَتَّى أرزق لقاءه، وأتمنى قربه كَمَا تتمنى الْجنَّة، وَإِن لم يتَقَدَّم لَهَا الرُّؤْيَة حَتَّى وَافقت الأمنية حكم الْقدر، وطلع عَليّ بنيسابور طُلُوع الْقَمَر فَزَاد الْعين على الْأَثر والاختبار على الْخَبَر.

ورأيته يغْرف فِي الْأَدَب من الْبَحْر، وكأنما يُوحى إِلَيْهِ فِي النّظم والنثر مَعَ ضربه فِي سَائِر الْعُلُوم بِالسَّهْمِ الفائز وَأَخذه مِنْهَا بالحظ الوافر؛ وَجمعته وإياي لحْمَة الْأَدَب الَّتِي هِيَ أقوى من قربَة النّسَب.

فَمَا زلت فِي قدماته الثَّلَاث نيسابور بَين سرُور وَأنس مُقيم من حسن معاشرته وَطيب مذاكرته، ومحاضرته فِي جنَّة نعيم أجتني ثَمَر الْغُرَاب من فَوَائده وأنظم الْعُقُود من فرائده، وَلم يكن تغبني كتبه فِي غيبته، وَلَا أكاد أَخْلو من آثَار وده وكرم عَهده...الخ. "يتيمة الدهر" (٤/ ٣٤٥).

**قال ابنُ عساكر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: شاعر سائر الشعر، له أسلوب في التجنيس عجيب ربما أفضى به طلب التجنيس إلى التكلف؛ وبست مدينة بالمشرق.

روى عنه بعض أشعاره الحاكم أبو عبد الله وأبو عثمان الصابوني وأبو علي الحسين بن علي بن محمد البردعي، وهو نسبه.

قيل إنه قدم دمشق ومات بها. "تاريخ دمشق" (٤٣/ ١٦١).

من منثوره: المزح في الكلام كالملح في الطعام. "تاريخ دمشق"(٤٣/ ١٦٣).

وفي "وفيات الأعيان: (٣/ ٣٧٦): فمن ألفاظه البديعة قوله:

مَنْ أَصْلَحَ فَاسِدَهُ أَرْغَمَ حَاسِدَهُ. مَنْ أَطَاعَ غَضَبَهُ أَضَاعَ أَدَبَهُ. عاداتُ السادات سادات العادات. مِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ وُقُوفُكَ عِنْدَ حَدِّكَ. الرَّشْوَةُ رِشَاءُ الْحَاجَاتِ. أَجْهَلُ النَّاسِ من كَانَ للإخوانِ مذلا وعَلى السُّلْطَانِ مدلا. الْفَهمُ شُعَاعُ الْعقلِ. الْمُنِيَّةُ تَضْحَكُ مِنَ الْأُمْنِيَةِ. حَدُّ الْعَفَافِ الرِّضَا بِالْكَفَافِ. ما لخرق الرقيع ترقيع.

ونقلها بعضهم بلفظ: "أجمل الناس من كان للإخوان..."قال صاحبُ "مرآة الجنان وعبرة اليقظان" (٢/ ٣٤١): يعني بالرقيع: الأحمق. قلتُ: ولو قال: على الإحسان مذللاً، عوضاً عن قوله وعلى السلطان، كان أصلح وعند أهل الخير أملح، لكنه ممن لهم رغبة في القرب (السلطان، فللرهبة).ا.هـ.

قال أبو منصور الثعالبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: كَانَ ابو الْفَتْح البستى يستحسن قولى فِي كتابى الْمُبْهِج الْملك خلَافَة الله فِي عباده وبلاده وَلنْ يَسْتَقِيم أَمر خِلَافَته مَعَ مُخَالفَته وَكَانَ يَقُول بودي أَن لي بعض كَلَامه. ا.هـ. "ثمار القلوب في المضاف والمنسوب" (صـ: ٣٦).

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: البُسْتِى: هذه النسبة إلى بست بضم الباء المعجمة الموحدة وسكون السين المهملة والتاء المنقوطة بنقطتين في آخرها، وهي بلدة من بلاد كابل بين هراة، وغزنة، وهي بلدة حسنة كثيرة الخضر، والأنهار، والبساتين.

سمعت أبا زيد محمد بن الفضل بن على القزازي، وأبا الفضل جعفر ابن ... الكثيري ببخارى يقولان: سئل بعضُ الفضلاء عن بُست ووصفها؟

فقال: هي كتثنيتها يعنى: بستان.

خرج منها جماعة من الأئمة والعلماء، منهم القاضي أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البُستى صاحب السنن، أدرك جماعة كثيرة من شيوخ البخاري ومسلم، وأبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان [التميمي] البستي، إمام عصره صنف تصانيف لم يسبق الى مثلها، رحل فيما بين الشاش إلى الإسكندرية ...

وأبو سليمان حَمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، صاحب كتاب أعلام الحديث، ومعالم السنن، وغريب الحديث، والعزلة، وغيرها...

والعميد أبو الفتح علي بن محمد البُستى، أوحد عصره جودة الشعر وحسن المحاورة، صحب الأكابر وشعره مدون مشهور

وأبو الفتح على بن أحمد البستي الأديب الكاتب النحرير، وهو أوحد عصره في الفضل، والعلم، والشعر، والكتابة، ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ في تاريخه وقال: ذكر لي سماعه بتلك الديار من أصحاب على بن عبد العزيز وأقرانه وأكثر عن أبى حاتم وأهل عصره، ورد نيسابور غير مرة وأفاد حتى أقر له جماعة بالفضل.ا. هـ. "الأنساب" للسمعاني (٢/ ٢٢٤).

والذي يظهر هما واحد واختلف في اسم أبيه كما أشار بعضهم لذلك.

وقال عمرانُ بن موسى بن محمد بن عمران الطّوْلَقِي في أبي الفتح البستي:

**إذا قيلَ أيُ الأرضِ في الناسِ زِينَةٌ أجَبنا وقُلنا أبهَجُ الأرض بُستُها**

**فلو أنني أدركتُ يوماً عميدَها لَزِمتُ يَدَ البُستيَ دهراً وبُستُها**

كما في "تاريخ دمشق" لابن عساكر (٤٣/ ١٦٢)، و"معجم البلدان" (١/ ٤١٥).

**من شعره:**

**إِذَا تَحَدَّثْتَ فِي قَوْمٍ لِتُؤْنِسَهُمْ بِمَا تُحَدِّثُ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ آتِ**

**فَلَا تَعُدْ لِحَدِيثٍ إِنَّ طَبْعَهُمُ مُوَكَّلٌ بِمُعَادَاةِ الْمُعَادَاتِ**

كما في "البداية والنهاية" ط الفكر (١١/ ٣٤٥)، وغيرها.

ومنه:

إذا أحسستَ في لفظي فتورًا وعلمي والبلاغةِ والبيانِ
فلا ترتبْ بفهمي إن رقصي على مقدار إيقاع الزمانِ

كما في "زهر الآداب وثمر الألباب" (١/ ١٩٦).

## العناية بها

ونقل بعضهم عن أحمد بن علي المَنِيني الدمشقي ت (١١٧٢) هـ أنه قال في كتابه "الفتح الوَهْبي على تاريخ أبي نصر العُتْبي": "يستهيم في حفظها وروايتها أهل الأدب، ويُعنَى بها الناسُ حتى الصبيان في المكتب.

## شروحها

**شرحها**: ذو النون بن أحمد السُّرمَاوي، نزيل عينتاب.المتوفى: سنة ٦٠٧، سبع وستمائة.

**ومن شروحها**: شرح. أوله: (الحمد لله الذي جعل ملح العلوم علم العربية ... الخ). لعبد الله، المعروف: بنقره كار. "كشف الظنون" (٢/ ١٣٣٦).

ورأيته منشورًا في بعض المواقع لا يزال مخطوطًا مختصرًا؛ يبين فيه معاني الكلمات، والإعراب، والمعنى الإجمالي. وقد نقلتُ منه في مواضع متفرقه.

وفي "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر" للحموي(٣/ ٥٦).

عبد الله ابْن الْفَقِيه عبد الرَّحْمَن بن سراج باجمال الحضرمي... وَله مؤلفات مِنْهَا شرح القصيدة البستية نظم الشَّيْخ أَبى الْفَتْح البستي الَّتِي أَولهَا

(زِيَادَة الْمَرْء فِي دُنْيَاهُ نُقْصَان ... وَربحه غير مَحْض الْخَيْر خسران) جمع فِيهِ آدابا كَثِيرَة.

وفي توضيح المشتبه (١/ ٣٧٤) لمحمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى: ٨٤٢هـ).

أَبُو عبد الله مَحْمُود عمر النَّيْسَابُورِي النجاتي إِمَام فَاضل أديب صنف فِي سنة ثَلَاث عشرَة وَسبع مئة شرحا جيدا للقصائد الثَّلَاث: قصيدة أبي الْفَتْح البستي الَّتِي أولها: زِيَادَة الْمَرْء فِي دُنْيَاهُ نُقْصَان وقصيدة الْعِمَاد الأصبهاني الَّتِي مطْلعهَا: إطاعةُ النَّفس للرحمن عصيان وقصيدة الفرزدق فِي زين العابدين: هَذَا الَّذِي تعرفُ الْبَطْحَاءُ وطأتَهُ.

## اسم المنظومة

**اسم هذه المنظومة**: عنوان الحكم. قال السبكي: تسمى عنوان الحكم مطْلعهَا

**زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ وَرِبْحُهُ غَيْرَ مَحْضِ الْخَيْرِ خُسْرَانُ**

"طبقات الشافعية الكبرى"(٥/ ٢٩٤).

وَ (عُنْوَانُ) الْكِتَابِ بِالضَّمِّ هِيَ اللُّغَةُ الْفَصِيحَةُ وَقَدْ يُكْسَرُ. وَيُقَالُ أَيْضًا: عِنْوَانٌ وَ (عِنْيَانٌ). وَ (عَنْوَنَ) الْكِتَابَ يُعَنْوِنُهُ وَ (عَنَّنَهُ) أَيْضًا وَ (عَنَّاهُ) أَبْدَلُوا مِنْ إِحْدَى النُّونَاتِ يَاءً. "مختار الصحاح" (صـ: ٢٢٠).

ويقال لها: القصيدة البستية، ويقال لها: نونية البستي.

## مولده

**مولده**: ولد في بُست قيل: سنة ٣٣٠هجرية، وذكر صاحب كتاب"معجم المؤلفين (٧/ ١٨٦). بأنه ولد سنة ٣٦٠وهذا بعيد جدا؛ لأن البستي سمع من ابن حيان البستي، وأبو حاتم توفي سنة ٣٥٤هجرية.

## وفاته

**وفاته**: قال ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: توفي أبو الفتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ – –ببخارى سنة إحدى وأربعمائة، وهذا أشبه بالصواب من قول إنه مات بدمشق والله أعلم. "تاريخ دمشق" (٤٣/ ١٧١).

وفي "وفيات الأعيان" (٣/ ٣٧٨): وتوفي سنة أربعمائة، وقيل سنة إحدى وأربعمائة ببخارى، والله أعلم، رَحِمَهُ ٱللَّهُ –.

## التجنيس والمطابقة

وصف البستي بأن له اليد الطولى في التجنيس والمطابقة فما معناهما؟

### أولًا: الجناس(التجنيس)

قال ضياء الدين بن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: التجنيس غرَّةٌ شادخة في وجه الكلام، وقد تصرَّف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا، لا سيما المحدثين منهم، وصنَّف الناس فيه كتبًا كثيرة، وجعلوه أبوابًا متعددة، واختلفوا في ذلك،

وأدخلوا بعض تلك الأبواب في بعض، فمنهم عبد الله بن المعتز، وأبوعلي الحاتمي، والقاضي أبو الحسن الجرجاني، وقدامة بن جعفر الكاتب، وغيرهم.

وإنَّما سُمِّيَ هذا النوع من الكلام مجانسًا؛ لأن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد.

وحقيقته أن يكون اللفظ واحدًا والمعنى مختلفًا.

وعلى هذا فإنه هو اللفظ المشترك، وما عداه فليس من التجنيس الحقيقيّ في شيء، إلّا أنه قد خرج من ذلك ما يسمَّى تجنيسًا...

التجنيس الحقيقي: فأمَّا القسم الأول: فهو أن تتساوى حروف ألفاظه في تركيبها ووزنها، كقوله تعالى:﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ الروم: ٥٥ وليس في القرآن الكريم سوى هذه الآية فاعرفها. "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" (١/ ٢٦٢).

ثانيًا: **المطابقة.**

هذا النوع يسمى البديع أيضًا، وهو في المعاني ضد التجنيس في الألفاظ؛ لأن التجنيس هو: أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى، وهذا هو أن يكون المعنيان ضدين.

وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام هي: الجمع بين الشيء وضده، كالسواد والبياض، والليل والنهار.

وخالفهم في ذلك قدامة بن جعفر الكاتب فقال: المطابقة إيراد لفظين متساويين في البناء والصيغة مختلفين في المعنى.

وهذا الذي ذكره هو التجنيس بعينه، غير أن الأسماء لا مشاحة فيها، إلا إذا كانت مشتقة. "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"(٣/ ١٤٣).

## المنظومة

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –:

زِيَادَةُ المَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ ... وَرِبْحُهُ غَيْرَ مَحْضِ الْخَيْرِ خُسْرَانُ

وَكُلُّ وِجْدَانِ حَظٍّ لاَ ثَبَاتَ لَهُ ... فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فِقْدَانُ

يَا عَامِرًا لِخَرَابِ الدَّارِ مُجْتَهِدًا ... بِاللهِ هَلْ لِخَرَابِ العُمْرِ عُمْرَانُ

وَيَا حَرِيصًا عَلَى الأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا ... أُنْسِيتَ أَنَّ سُرُورَ المَالِ أَحْزَانُ

زَعِ الفُؤَادَ عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ... فَصَفْوُهَا كَدَرٌ وَالْوَصْلُ هِجْرَانُ

وَأَرْعِ سَمْعَكَ أَمْثَالًا أُفَصِّلُهَا ... كَمَا يُفَصَّلُ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانُ

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ ... فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الإِنْسَانَ إِحْسَانُ

يَا خَادِمَ الجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ ... أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ فِيمَا فِيهِ خُسْرَانُ

أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا ... فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لاَ بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ

وَإِنْ أَسَاءَ مُسِيءٌ فَلْيَكُنْ لَكَ فِي ... عُرُوضِ زَلَّتِهِ صَفْحٌ وَغُفْرَانُ

وَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ مِعْوَاناً لِذِي أَمَلٍ ... يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ الحُرَّ مِعْوَانُ

وَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللهِ مُعْتَصِمًا ... فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ

مَنْ يَتَّقِ اللهَ يُحْمَدْ فِي عَوَاقِبِهِ ... وَيَكْفِهِ شَرَّ مَنْ عَزُّوا وَمَنْ هَانُوا

مَنِ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللهِ فِي طَلَبٍ ... فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخِذْلاَنُ

مَنْ كَانَ لِلخَيْرِ مَنَّاعًا فَلَيْسَ لَهُ ... عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانٌ وَأَخْدَانُ

مَنْ جَادَ بِالمَالِ مَالَ النَّاسُ قَاطِبَةً ... إِلَيْهِ وَالمَالُ لِلإِنْسَانِ فَتَّانُ

مَنْ سَالَمَ النَّاسَ يَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِم ... وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلاَنُ

مَنْ كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ غَدَا ... وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْحِرْصِ سُلْطَانُ

مَنْ مَدَّ طَرْفًا لِفَرْطِ الْجَهْلِ نَحْوَ هَوَىً ... أَغْضَى عَلَى الْحَقِّ يَوْمًا وَهْوَ خَزْيَانُ

مَنْ عَاشَرَ النَّاسَ لاَقَى مِنْهُمُ نَصَبًا ... لأَنَّ سُوْسَهُمُ بَغْيٌ وَعُدْوَانُ

وَمَنْ يُفَتِّشْ عَنِ الإِخْوَانِ يَقْلِهِمُ ... فَجُلُّ إِخْوَانِ هَذَا العَصْرِ خَوَّانُ

مَنِ اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ ... عَلَى حَقِيقَةِ طَبْعِ الدَّهْرِ بُرْهَانُ

مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحْصُدْ فِي عَوَاقِبِهِ ... نَدَامَةً وَلِحَصْدِ الزَّرْعِ إِبَّانُ

مَنِ اسْتَنَامَ إِلَى الأَشْرَارِ نَامَ وَفِي ... قَمِيصِهِ مِنْهُمُ صِلٌّ وَثُعْبَانُ

كُنْ رَيِّقَ البِشْرِ إِنَّ الحُرَّ هِمَّتُهُ ... صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا البِشْرُ عُنْوَانُ

وَرَافِقِ الرِّفْقَ فِي كُلِّ الأُمُورِ فَلَمْ ... يَنْدَمْ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذْمُمْهُ إِنْسَانُ

وَلاَ يَغُرَّنْكَ حَظٌّ جَرَّهُ خَرَقٌ ... فَالخَرْقُ هَدْمٌ وَرِفْقُ المَرْءِ بُنْيَانُ

أَحْسِنْ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدِرَةٌ ... فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الإِحْسَانِ إِمْكَانُ

فَالرَّوْضُ يَزْدَانُ بِالأَنْوَارِ فَاغِمَةً ... وَالحُرُّ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ يَزْدَانُ

صُنْ حُرَّ وَجْهِكَ لاَ تَهْتِكْ غِلاَلَتَهُ ... فَكُلُّ حُرٍّ لِحُرِّ الْوَجْهِ صَوَّانُ

فَإِنْ لَقِيتَ عَدُوًّا فَالْقَهُ أَبَدًا ... وَالْوَجْهُ بِالبِشْرِ وَالإِشْرَاقِ غَضَّانُ

دَعِ التَّكَاسُلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبُهَا ... فَلَيْسَ يَسْعَدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسْلاَنُ

لاَ ظِلَّ لِلْمَرْءِ يَعْرَى مِنْ تُقَىً وَنُهىً ... وَإِنْ أَظَلَّتْهُ أَوْرَاقٌ وَ أَفْنَانُ

وَالنَّاسُ أَعْوَانُ مَنْ وَالَتْهُ دَوْلَتُهُ ... وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ أَعْوَانُ

"سَحْبَانُ" مِنْ غَيْرِ مَالٍ "بَاقِلٌ" حَصِرٌ ... وَ "بَاقِلٌ" فِي ثَرَاءِ المَالِ "سَحْبَانُ"

لاَ تُوْدِعِ السِّرَّ وَشَّاءً يَبُوحُ بِهِ ... فَمَا رَعَى غَنَمًا فِي الدَّوِّ سِرْحَانُ

لاَ تَحْسَبِ النَّاسِ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ ... غَرَائِزٌ لَسْتَ تُحْصِيهِنَّ أَلْوَانُ

مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَّاءٍ لِوَارِدِهِ ... نَعَمْ وَلاَ كُلُّ نَبْتٍ فَهْوَ سَعْدَانُ

لاَ تَخْدِشَنَّ بِمَطْلٍ وَجْهَ عَارِفَةٍ ... فَالْبِرُّ يَخْدِشُهُ مَطْلٌ وَلَيَّانُ

لاَ تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَدْبٍ حَازِمٍ يَقِظٍ ... قَدِ اسْتَوَى فِيهِ إِسْرَارٌ وَإِعْلاَنُ

فَلِلتَّدَابِيرِ فُرْسَانٌ إِذَا رَكَضُوا ... فِيهَا أَبَرُّوا كَمَا لِلحَرْبِ فُرْسَانُ

وَلِلأُمُورِ مَوَاقِيتٌ مُقَدَّرَةٌ ... وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ

فَلاَ تَكُنْ عَجِلاً بِالأَمْرِ تَطْلُبُهُ ... فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ النُّضْجِ بُحْرَانُ

كَفَى مِنَ الْعَيْشِ مَا قَدْ سَدَّ مِنْ عَوَزٍ ... فَفِيهِ لِلحُرِّ إِنْ حَقَّقتَ غُنْيَانُ

وَذُو الْقَنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ ... وَصَاحِبُ الحِرْصِ إِنْ أَثْرَى فَغَضْبَانُ

حَسْبُ الْفَتَى عَقْلُهُ خِلاًّ يُعَاشِرُهُ ... إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانٌ وَخِلاَّنُ

هُمَا رَضِيعَا لَبَانٍ: حِكْمَةٌ وَتُقَىً ... وَسَاكِنَا وَطَنٍ: مَالٌ وَطُغْيَانُ

إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنٌ فَلَهُ ... وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الأَرْضِ أَوْطَانُ

يَا ظَالِماً فَرِحاً بِالعِزِّ سَاعَدَهُ ... إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةٍ فَالدَّهْرُ يَقْظَانُ

مَا اسْتَمْرَأَ الظُّلْمَ لَوْ أَنْصَفْتَ آكِلُهُ ... وَهَلْ يَلَذُّ مَذَاقَ المَرْءِ خُطْبَانُ

يَا أَيُّهَا العَالِمُ المَرْضِيُّ سِيرَتُهُ ... أَبْشِرْ فَأَنْتَ بِغَيْرِ المَاءِ رَيَّانُ

وَيَا أَخَا الْجَهْلِ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي لُجَجٍ ... فَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لاَ شَكَّ ظَمْآنُ

لاَ تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا ... مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ

إِذَا جَفَاكَ خَلِيلٌ كُنْتَ تَأْلَفُهُ ... فَاطْلُبْ سِوَاهُ فَكُلُّ النَّاسِ إِخْوَانُ

وَإِنْ نَبَتْ بِكَ أَوْطَانٌ نَشَأْتَ بِهَا ... فَارْحَلْ فَكُلُّ بِلاَدِ اللهِ أَوْطَانُ

يَا رَافِلًا فِي الشَّبَابِ الرَّحْبِ مُنْتَشِيًا ... مِنْ كَأْسِهِ هَلْ أَصَابَ الرُّشْدَ نَشْوَانُ

لاَ تَغْتَرِرْبِشَبَابٍ رَائِقٍ نَضِرٍ ... فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشِّيبِ شُبَّانُ

وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْنَاصَحْتَ نَفْسَكَ لَمْ ... يَكُنْ لِمِثْلِكَ فِي اللَّذَّاتِ إِمْعَانُ

هَبِ الشَّبِيبَةَ تُبْدِي عُذْرَصَاحِبِهَا ... مَا عُذْرُأَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ

كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُهَا ... إِنْ شَيَّعَ المَرْءَ إِخْلاَصٌ وَإِيمَانُ

وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ الدِّينَ يَجْبُرُهُ ... وَمَا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّينِ جُبْرَانُ

خُذْهَا سَوَائِرَ أَمْثَالٍ مُهَذَّبَةً ... فِيهَا لِمَنْ يَبْتَغِي التِّبْيَانَ تِبْيَانُ

مَا ضرّحَسَّانَهَا وَالطَّبْعُ صَائِغُهَا ... إِنْ لَمْ يَصُغْهَا قَرِيعُ الشِّعْرِ حَسَّانُ

هذه الأبيات من البحر البسيط

## ربح الدنيا خسارة الآخرة

زِيَادَةُ المَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ وَرِبْحُهُ غَيْرَ مَحْضِ الْخَيْرِ خُسْرَانُ

نقصان في دينه من ناحية الانشغال به، وفي الآخرة يحاسب عليه والفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء ولو كان أنفقه في وجوه المباحات، أو الخير فكيف لو أنفقه في الحرام أو أدخله من الحرام.

عَنْ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينَ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ». رواه البخاري (٥١٩٦)، (٦٥٤٧)، ومسلم (٢٧٣٦).

وجاء عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ، خَمْسِمِائَةِ عَامٍ». رواه أحمد (٩٨٢٣)، (١٠٦٥٤)، وابن ماجه (٤١٢٢)، والترمذي (٢٣٥٣)، وغيرهم.

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَسَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: «أَلَكَ امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «أَلَكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ»، قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمًا، قَالَ: «فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ»،

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: وَجَاءَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَأَنَا عِنْدَهُ، فَقَالُوا: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّا، وَاللهِ مَا نَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، لَا نَفَقَةٍ، وَلَا دَابَّةٍ، وَلَا مَتَاعٍ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا شِئْتُمْ، إِنْ شِئْتُمْ رَجَعْتُمْ إِلَيْنَا فَأَعْطَيْنَاكُمْ مَا يَسَّرَ اللهُ لَكُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ ذَكَرْنَا أَمْرَكُمْ لِلسُّلْطَانِ، وَإِنْ شِئْتُمْ صَبَرْتُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،

يَقُولُ: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ، بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا» قَالُوا: فَإِنَّا نَصْبِرُ، لَا نَسْأَلُ شَيْئًا. رواه مسلم (٢٩٧٩).

قوله: "وَرِبْحُهُ غَيْرَ مَحْضِ الْخَيْرِ خُسْرَانُ"

قد قالوا: الرَّابِحُ فِي الشَّرِّ خَاسِرٌ

قال السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: كَلامٌ صَحِيحٌ. "المقاصد الحسنة" (صـ: ٣٥٩).

قال العجلوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: يعني: وليس بحديث كما قال القاري، بل هو من كلام بعض الحكماء ويدل لصحته نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية ولله دَرُّ البستي حيث قال: فذكر البيت هذا. "كشف الخفاء" ت هنداوي (١/ ٤٨٢).

قال القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: خاسر مِنَ الْخَيْرِ ... كَلَامُ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ. "الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة" (صـ: ٢٠٦).

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ العصر: ١ – ٣

وفي "أدب الدنيا والدين" (صـ٢٢٣و٢٢٤): قَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: إِنِّي أَخَافُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُهُ. فَقَالَ: إِنَّك خَلَّفْتَ مَالَك وَلَوْ قَدَّمْتَهُ لَسَرَّك اللُّحُوق بِهِ. وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: كَثْرَةُ مَالِ الْمَيِّتِ تُعَزِّي وَرَثَتَهُ عَنْهُ. فَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى ابْنُ الرُّومِيِّ فَقَالَ وَزَادَ:

أَبْقَيْتَ مَالَك مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ ... فَلَيْتَ شِعْرِي مَا أَبْقَى لَك الْمَالُ

الْقَوْمُ بَعْدَك فِي حَالٍ تَسُرُّهُمْ ... فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ حَالَتْ بِك الْحَالُ

مَلُّوا الْبُكَاءَ فَمَا يُبْكِيك مِنْ أَحَدٍ ... وَاسْتَحْكَمَ الْقَوْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالُ

وَلَّتْهُمْ عَنْك دُنْيَا أَقْبَلَتْ لَهُمْ وَأَدْبَرَتْ عَنْك وَالْأَيَّامُ أَحْوَالُ

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في ذكر أسباب جمع المال: وَالسَّبَبُ الرَّابِعُ: أَنْ يَجْمَعَ الْمَالَ وَيَطْلُبَهُ اسْتِحْلَالًا لِجَمْعِهِ، وَشَغَفًا بِاحْتِرَامِهِ. فَهَذَا أَسْوَأُ النَّاسِ حَالًا فِيهِ، وَأَشَدُّهُمْ حُزْنًا لَهُ، قَدْ تَوَجَّهَتْ إلَيْهِ سَائِرُ الْمَلَاوِمِ حَتَّى صَارَ وَبَالًا عَلَيْهِ وَمَذَامَّ. "أدب الدنيا والدين" (صـ: ٢٢٣).

وكلما كان مالُ الإنسانِ أقل، كلما خَفَّفَ على نفسِهِ الحسابَ يوم القيامة؛ فعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اثْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: الْمَوْتُ، وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قِلَّةَ الْمَالِ، وَقِلَّةُ الْمَالِ أَقَلُّ لِلْحِسَابِ». رواه أحمد(٢٣٦٢٥)، وغيره وهو في "السلسلة الصحيحة"(٨١٣).

وقسم شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ – ذلك من حيثُ النفع والضر إلى أقسام

فقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: ...فَالْأَقْسَامُ سَبْعَةٌ:

فَمَا كَانَ نَافِعًا فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ مَحْمُودٌ سَوَاءٌ ضَرَّ فِي الدُّنْيَا أَوْ نَفَعَ أَوْ لَمْ يَنْفَعْ وَلَمْ يَضُرَّ. وَمَا كَانَ ضَارًّا فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ مَذْمُومٌ وَإِنْ كَانَ نَافِعًا فِي الدُّنْيَا أَوْ ضَارًّا أَوْ لَا نَافِعًا وَلَا ضَارًّا.

وَبَقِيَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: مَا كَانَ نَافِعًا فِي الدُّنْيَا غَيْرَ ضَارٍّ فِي الْآخِرَةِ وَضَارًّا فِي الدُّنْيَا غَيْرَ نَافِعٍ فِي الْآخِرَةِ وَالنَّافِعُ مَحْمُودٌ وَالضَّارُّ مَذْمُومٌ. وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ فِيهِ قَوْلَانِ: قِيلَ: لَا حَمْدَ فِيهِ وَلَا ذَمَّ.

وَقِيلَ: بَلْ هُوَ مَذْمُومٌ فَأَكْثَرُ ذَمِّ النَّاسِ لِلدُّنْيَا لَيْسَ مِنْ جِهَةِ شَغْلِهَا لَهُمْ عَنْ الْآخِرَةِ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ مَا يَلْحَقُهُمْ مِنْ الضَّرَرِ فِيهَا وَهِيَ مَذْمُومَةٌ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ.

وَأَعْلَى وُجُوهِ الذَّمِّ هُوَ مَا شَغَلَ عَنْ الْآخِرَةِ وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُعَدِّدُ الْمَصَائِبَ وَيَنْسَى النِّعَمَ فَقَدْ يَذُمُّ أُمُورًا كَثِيرَةً لِمَضَرَّةٍ تَلْحَقُهُ وَيَكُونُ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ لَا يَذْكُرُهَا وَهَذَا الذَّمُّ مِنْ نَوْعِ الْهَلَعِ وَالْجَزَعِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ المعارج: ١٩ - ٢٢.

وَإِنَّمَا الذَّمُّ الْمُحَقَّقُ هُوَ مَا يَشْغَلُ عَنْ مَصْلَحَةِ الْآخِرَةِ مِنْ الْوَاجِبِ وَالنَّقْصُ هُوَ مَا يَشْغَلُ عَنْ مَصْلَحَتِهَا الْمُسْتَحَبَّةِ وَيُذَمُّ مَا تَرَجَّحَتْ مَضَرَّتُهُ عَلَى مَنْفَعَتِهِ فِيهَا فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ هِيَ فَصْلُ الْخِطَابِ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْمَحْمُودَ فِيهَا وُجُودِيٌّ أَوْ عَدَمِيٌّ.ا هـ. "مجموع الفتاوى" (٢٠/ ١٤٩).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: الْمَحْمُودُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إنَّمَا هُوَ إرَادَةُ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَالْمَذْمُومُ إنَّمَا هُوَ مَنْ تَرَكَ إرَادَةَ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَاشْتَغَلَ بِإِرَادَةِ الدُّنْيَا عَنْهَا فَأَمَّا مُجَرَّدُ مَدْحِ تَرْكِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةِ رَسُولِهِ وَلَا تَنْظُرْ إلَى كَثْرَةِ ذَمِّ النَّاسِ الدُّنْيَا ذَمًّا غَيْرَ دِينِيٍّ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْعَامَّةِ إنَّمَا يَذُمُّونَهَا لِعَدَمِ حُصُولِ أَغْرَاضِهِمْ مِنْهَا فَإِنَّهَا لَمْ تَصْفُ لِأَحَدٍ قَطُّ وَلَوْ نَالَ مِنْهَا مَا عَسَاهُ أَنْ يَنَالَ وَمَا امْتَلَأَتْ دَارٌ حِبْرَةً إلَّا امْتَلَأَتْ عِبْرَةً فَالْعُقَلَاءُ يَذُمُّونَ الْجُهَّالَ الَّذِينَ يَرْكَنُونَ إلَيْهَا وَيَظُنُّونَ بَقَاءَ الرِّيَاسَةِ وَالْمَالِ وَتَنَاوُلِ الشَّهَوَاتِ فِيهَا...الخ. "مجموع الفتاوى" (٢٠/ ١٤٧).

فالربحُ لغيرِ الخير المحض خسارة، فإذا لم تكن رابحاً للخير فأنت في خسارة.

والخسارة خسارتان: مطلقة، ومقيدة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: والخسرانُ المطلق لا يحصل إلا للكفار فإن المسلم ولو خسر بذنوبه ومعاصيه فآخر أمره إلى الربح "الصلاة وأحكام تاركها" (صـ: ٤٨).

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ هود: ٢١

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: أعظم الخسران، خسران النَّفس، وَأعظم الرِّبْح: ربح النَّفس. "تفسيره للآية"

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ آل عمران: ١٨٥

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ – عندها: وَالْفَوْزُ: هُوَ حُصُولُ الرِّبْحِ وَنَفْيُ الْخَسَارَةِ.

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ البقرة: ٢٧

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –في "تفسيره لها": في الدنيا والآخرة، فحصر الخسارة فيهم؛ لأن خسرانهم عام في كل أحوالهم، ليس لهم نوع من الربح؛ لأن كل عمل صالح شرطه الإيمان؛ فمن لا إيمان له لا عمل له، وهذا الخسار هو خسار الكفر، وأما الخسار الذي قد يكون كفرا، وقد يكون معصية، وقد يكون تفريطا في ترك مستحب، المذكور في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ العصر: ٢ فهذا عام لكل مخلوق، إلا من اتصف بالإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وحقيقة فوات الخير؛ الذي كان العبد بصدد تحصيله وهو تحت إمكانه.

﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ النساء: ١١٩

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في "تفسيره لها": وأي خسار أبين وأعظم ممن خسر دينه ودنياه وأوبقته معاصيه وخطاياه؟!! فحصل له الشقاء الأبدي، وفاته النعيم السرمدي. كما أن من تولى مولاه وآثر رضاه، ربح كل الربح، وأفلح كل الفلاح،

وفاز بسعادة الدارين، وأصبح قرير العين، فلا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، اللّٰهم تولنا فيمن توليت، وعافنا فيمن عافيت.ا.هـ.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: أَيُّهَا الشَّابُّ تَدَبَّرْ أَمْرَكَ فَإِنَّكَ فِي زَمَنِ الرِّبْحِ وَوَقْتِ الْبَذْرِ وَإِبَّانِ الْفَضَائِلِ، احْذَرْ أَنْ يَخْدَعَكَ الْعَدُوُّ عَنْ نَفِيسِ هَذَا الْجَوْهَرِ فَتُنْفِقُهُ بِكَفِّ التَّبْذِيرِ، تَاللَّهِ لَئِنْ فَعَلْتَ لَتَغْرِسَنَّ بِذَلِكَ شَجَرَةَ النَّدَامَةِ فَيَتَسَاقَطُ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ فَنَنٍ مِنْهَا فَنُّ حَسْرَةٍ. وَاعْرِفْ قَدْرَ مَا تُؤَمِّنُ بِهِ هَذَا الْجَوْهَرَ مِنَ الْفَضَائِلِ، وَاحْذَرْ مِنَ اخْتِلاسِ الْعَدُوِّ لَهُ، فَصَابِرْ فَكَأَنْ قَدِ انْقَضَى الْمَوْسِمُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ يُرَاصِدُكَ لِيَفْتِنَكَ وَقُوَّةُ الطَّبْعِ لَهُ عَلَيْكَ، وَالشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ، فَاكْسَرْ عَادِيَةَ الْهَوَى بِوَهَنِ أَسْبَابِهِ. "التبصرة لابن الجوزي" (٢/ ١٦٩).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: لَا أضرّ على العَبْد أَمريْن غفلته عَن ذكر الله وَمُخَالفَة لأمر الله الْغَفْلَة تحرم الرِّبْح وَالْمَعْصِيَة توجب الخسران الْغَفْلَة تغلق أَبْوَاب الْجنَّة وَالْمَعْصِيَة تفتح أَبْوَاب النَّار... فَفرُّوا إِلَى الله مِمَّا يشغل عَنهُ كل الْفِرَار واستجيروا بِهِ من الْغَفْلَة وَالْمَعْصِيَة فهما فَوَات الرِّبْح وإلحاق الخسران يَا طول حزن الغافلينا عَن ذكر رب العالمينا يَا هضمهم يَوْمًا يرَوْنَ ثَوَاب ذكر الذاكرينا ستطول حسرتهم لما كَانُوا بِهِ متشاغلينا يتحسرون على فوا ت من فعال الطائعينا ."التذكرة في الوعظ" (صـ: ١٠٣).

قال بعض الحكماء: كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره؟

كيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله وحياته إلى موته؟ "الزهد" لابن أبي الدنيا (٢٤٧)، و "ذم الدنيا" (١٩٥)، "لطائف المعارف" لابن رجب (صـ: ٣٠٤).

قال الشاعر

إِنَّـا لَـنَـفْـرَحُ بِـالْأَيَّـامِ نَـقْـطَـعُـهَـا وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَـــى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ

فَاعْمَلْ لِنَفْسِـكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا فَإِنَّمَا الرِّبْحُ وَالْخُسْـــرَانُ فِي الْعَمَلِ

عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ»، رواه أحمد (٢٣٦٢٧)، والبيهقي في "الشعب" (٩٩٦٦)، وعند الترمذي (٢٠٣٦)، والحاكم (٧٨٥٧)، والطبراني في "الكبير" (١٧)، وابن حبان في "صحيحه"(٦٦٩).

عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ المَاءَ». وهو في "صحيح الجامع الصغير"(٢٨٢)، وبوب ابن حبان عليه: ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا إِذَا أَحَبَّ عَبْدَهُ حَمَاهُ الدُّنْيَا.

وعند البيهقي في "الشعب"(٩٩٦٥)، والقضاعي في "مسند الشهاب"(١٣٩٧) والطبراني في "الكبير"(٤٢٩٦)، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ مرفوعًا.

وبوب عليه القضاعي: إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا. وذكر الطريق الأخرى عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ.

وأخرجه أبو يعلى في "مسنده" (٦٨٦٥)، وأبو الشيخ الأصبهاني في "أمثال الحديث" (٣٠٦)، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ مرفوعًا. وسنده ضعيف؛ لأنه من طريق ابن لهيعة.

## زوال متاع الدنيا

**وَكُـلُّ وِجْـدَانِ حَـظٍّ لاَ ثَـبَـاتَ لَـهُ  فَـإِنَّ مَـعْـنَـاهُ فِي الـتَّـحْـقِـيقِ فِـقْـدَانُ**

"كُلُّ": من ألفاظ العموم على سبيل الإفراد، أو الجمع وهو مفرد اللفظ مجموع المعنى

ووِجْدَانِ مصدر وجد. "حَظٍّ" الحض: النصيب. "لاَ ثَبَاتَ لَهُ": لا بقاء له.

"فِي التَّحْقِيقِ": في اليقين. قال ابن فارس: وَيُقَالُ: حَقَقْتُ الْأَمْرَ وَأَحْقَقْتُهُ، أَيْ كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنْهُ. "مقاييس اللغة" (٢/ ١٩).

"فِقْدَانُ": بفتح الفاء وكسرها مصدر فقد الشيء يفقده إذا عدمه.

المعنى: كل ما تجد من نصيب الدنيا مما صفته أنه لا ثبات له لا بقاء له فهو في الحقيقة ذاهب زائل غير نافع عند الله تعالى.

عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ». رواه مسلم (٢٩٥٨).

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي، مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ، وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ». رواه مسلم (٢٩٥٩).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا»؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا». رواه أحمد (٢٤٢٤٠)، وَالترمذي (٢٤٧٠).

وعند البيهقي في "الشعب"(٣٠٨٥) عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا، قَالَ: أَظُنُّهُ طَلْحَةَ يُحَدِّثُ، عَنِ امْرَأَةٍ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا ذَبَحَتْ شَاةً فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ تَصَدَّقْنَا بِهَا إِلَّا كَتِفَهَا، قَالَ: «كُلُّهَا لَكُمْ إِلَّا كَتِفَهَا».

فالذي يبقى هو العلم النافع والعمل الصالح الصدقات الجارية

قال السندي رَحِمَهُ اللَّهُ –: قولها: ما بقي إلا كتفها، أي: تَصَدَّقُوا بكلِّها إلا كَتِفَهَا، فما بقي إلا كَتِفُها، فأجاب: أَن ما تصَدَّقْتُم به قد بقي، وما تركتم لنفسكم فهو الذي ما بقي، كما هو الموافق لقوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُّ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾النحل: ٩٦.

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». رواه مسلم (١٦٣١).

عَنْ أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ جُعِلَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا، وَإِنْ قَزَّحَهُ، وَمَلَّحَهُ فَانْظُرُوا إِلَى مَا يَصِيرُ ». رواه أحمد

(٢١٢٣٩)، والبيهقي في "الشعب"(٩٩٩٠)، والطبراني في "الكبير"(٥٣١). والحديث في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين "رقم (١) للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –.

قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: أَيْ: تَوْبَلَه، مِنَ القِزْح وَهُوَ التابِلُ الَّذِي يُطرح فِي القِدْر، كالكمُّون والكُزْبرة وَنَحْوِ ذَلِكَ. يُقَالُ: قَزَحْتُ القِدْر إِذَا تركْتُ فِيهَا الأبَازِير. وَالْمَعْنَى أَنَّ المَطْعَم وَإِنْ تَكَلَّف الْإِنْسَانُ التَّنَوقَ فِي صنْعته وتَطْييبه فَإِنَّهُ عائِد إِلَى حالٍ يُكْرَهُ وَيُسْتَقْذَرُ، فَكَذَلِكَ الدُّنْيَا المَحْرُوص عَلَى عِمارتها ونَظْم أسْبابها راجِعة إِلَى خَرابٍ وإِدْبارٍ. "النهاية" (٤/ ٥٨).

قال الجوهري: القِزْحُ بالكسر: التابَلُ. والمِقْزَحَةُ: نحو من المِملحةِ. والتقازيحُ: الأبازير. وقَزَّحْتُ القِدر تَقْزيحاً. "الصحاح"(١/ ٣٩٦).

التنوق: قال الفراهيدي: تنوق فلان في مطعمه وملبسه وأموره إذا تجود وبالغ. "العين" (٥/ ٢٢٠).

فَإِنَّ الْمَالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ وَإِنَّ الْعِلْمَ يَبْقَى لَا يَزَالُ

## خراب العمر

يَـا عَـامِـرًا لِـخَـرَابِ الـدَّارِ مُـجْـتَـهِـدًا  بِـاللهِ هَـلْ لِـخَـرَابِ الـعُـمْـرِ عُـمْـرَانُ

"الدار": الدنيا وفي بعض المصادر "الدهر" أي: الزمان.

"مُجْتَهِدًا" الاجتهاد: بذل الوسع والمجهود لنيل المقصود.

يا من تجتهد في إعمار ما خرب من دارك ودنياك، أو يا من تعمر الدنيا فإنما تعمر ما يخرب مهما اجتهدت فيه؛ فهي إلى الخراب والزوال.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أُطَيِّنُ حَائِطًا لِي أَنَا وَأُمِّي، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَبْدَ اللَّهِ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَيْءٌ أُصْلِحُهُ، فَقَالَ: «الْأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَلِكَ». وفي رواية: مَرَّ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصًّا لَنَا وَهَى، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقُلْنَا: خُصٌّ لَنَا وَهَى فَنَحْنُ نُصْلِحُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ». رواه أحمد (٦٥٠٢)، وأبو داود (٥٢٣٦)، والترمذي (٢٣٣٥)، والبيهقي في "الشعب" (١٠٢٢٠)، والطبراني في "الكبير" (١٤٤٠٢).

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ -: الْخُصُّ: بَيْت يُعْمَل مِنَ الْخَشَبِ والقَصَب، وَجَمْعُهُ خِصَاصٌ، وأَخْصَاصٌ، سُمِّيَ بِهِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْخِصَاصِ وَهِيَ الفُرَج والأَنْقاب. "النهاية في غريب الحديث والأثر" (٢/ ٣٧).

(وَهَيَ) الْوَاوُ وَالْهَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ يَدُلُّ عَلَى اسْتِرْخَاءٍ فِي شَيْءٍ... وَكُلُّ شَيْءٍ اسْتَرْخَى رِبَاطُهُ فَهُوَ وَاهٍ. "مقاييس اللغة" (٦/ ١٤٦).

قال السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: (نُعَالِجُ) نُصْلِحُ (خُصًّا) بِخَاءٍ مُعْجَمَةٍ وَتَشْدِيدِ صَادٍ، أَيْ: بَيْتًا مِنْ قَصَبٍ وَهِيَ مِنْ وَهَى الْحَائِطُ يَهِي إِذَا ضَعُفَ وَهَمَّ بِالسُّقُوطِ (مَا أَرَى الْأَمْرَ) أَيْ: أَمْرَ الْمَوْتِ عَلَى وَجْهِ الِاحْتِمَالِ فَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ الِاشْتِغَالُ بِمَا يُتْعِبُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، أَوِ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَرَى أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يَشْتَغِلُ بِشَيْءٍ لَا يُنْتَفَعُ بِهِ أَصْلًا وَلَيْسَ الْمُرَادُ إِخْبَارَهُ جَزْمًا بِأَنْ يَكُونَ مَوْتُكَ قَرِيبًا. "حاشية السندي على سنن ابن ماجه" (٢/ ٥٤٠).

فَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا جَزَاءً لِمُحْسِنٍ ... إِذًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَعَاشٌ لِظَالِمِ
لَقَدْ جَاعَ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ كَرَامَةً ... وَقَدْ شَبِعَتْ فِيهَا بُطُونُ الْبَهَائِمِ

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ. رواه الترمذي(٢٣٢٠).

قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في "الصحيحة"(٦٨٦): روي من حديث سهل بن سعد وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وجماعة من الصحابة(رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ)

والحسن وعمرو بن مرة مرسلا...وبالجملة فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح بلا ريب. والله أعلم. وينظر أيضاً "الصحيحة (٩٤٣).

"بِاللهِ هَلْ لِخَرَابِ العُمْرِ عُمْرَانُ"

فإذا تهدم عمرك وخرب فلن يعمر؛ فالعمر ما ذهب منه لن يعود، وخرابه لا يُبنى وماضيه لا يسترد وإنما يستغل الإنسان ما بقي منه وكما قيل:

**ذهبَ الشبابُ فما له من عَوْدَةٍ وأتى المشيبُ فأين منه المهربُ**

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: فكل نَفَس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا حظ لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد. فإضاعة هذه الأنفاس، أو اشتراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه: خسران عظيم لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس وأحمقهم وأقلهم عقلا. وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾آل عمران: ٣٠ "إغاثة اللهفان"(١/ ٨١).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: فَيَنْبَغِي للْعَبد المتيقظ أَن لَا يخلي نفسا من أنفاسه عَن فعل خير، فَإِن كل نفس خزانَة، وليعد لكل عمل جَوَابا، فَإِن السُّؤَال عَنهُ لَا بُد مِنْهُ، وليتأهب للرحلة الَّتِي لَا يدْرِي مَتى تقع، وليراقب من يرَاهُ سرا وَعَلَانِيَة، فَإِنَّهُ إِن تكلم سمع، وَإِن نظر رأى، وَإِن تفكر علم، وَالْجنَّة الْيَوْم فِي السَّمَاء تزخرف، وَالنَّار

تَحت الأَرْض توقد، والقبر عَن قَلِيل يحْفر، والملكان عَن يَمِين وشمال، والصحائف تملأ بِالْخَيرِ أَو الشَّرّ، فاغتنم يَا هَذَا صحتك فِي هَذَا الزَّمن قبل وجود الزَّمن، واعمر دَار الْبَقَاء بإنقاص من دَار الفناء، وَإِيَّاك أَن تغفل عَن نَفسك، فَإِن الْمُؤمن أَسِير فِي الدُّنْيَا يسْعَى فِي فكاك رقبته، وَلَا تذْهب لَحْظَة إِلَّا فِي فعل خير، وَأَقل مَرَاتِب الْأَفْعَال الْإِبَاحَة، واستوثق من قفل الْبَصَر وغلق اللِّسَان، فَإِنَّهُ إِن فتحهما الْهوى نهب مَا فِي الْقلب من الْخَيْر. وزاحم الْفُضَلَاء فِي أَعْمَالهم، وَقد أجمع الْحُكَمَاء أَنه لَا تنَال رَاحَة براحة، وَمثل لنَفسك عَاقِبَة الطَّاعَة ومغبة الْمعْصِيَة، فَكَأَنَّهُ مَا شبع من شبع، وَلَا التذ من عصى، وَلَا تألم من صَبر، وَأَيْنَ لَذَّة لقْمَة آدم؟ وَأَيْنَ مشقة صَبر يُوسُف؟ وَاحْذَرْ من مُخَالطَة أهل هَذَا الزَّمَان، فَإِن الطَّبْع يسرق عادات المعاشرين، ولتكن مخالطتك للسلف بالاطلاع على أَحْوَالهم. وحادث الْقُرْآن بالفكر فِيهِ فِي الخلوات، وتصفح جهاز الرحيل قبل أَن تفاجأ بَغْتَة، فَلَا ترى عنْدك غير النَّدَم. "تنوير الغبش في فضل السودان والحبش" (صـ: ٢٥١).

ومما يعزى للشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –:

خَبَتْ نَارُنَفْسِـــي باشْـتِعَالِ مَفَارِقِي ... وَأَظْلَمَ لَـيْـلِي إِذْ أَضَـاءَ شِـهَـابُهَـا

أَيَـا بُوْمَـةً قَـدْ عَشَّـشَـتْ فَوْقَ هَـامَتِي ... عَـلَى الـرَّغْـمِ مِـنّي حِـيْنَ طَـارَ غُـرَابُهَـا

رَأَيْـتِ خَـرَابَ الـعُـمْـرِ مِـنّي فَـزُرْتِـنِي ... وَمَـأْوَاكِ مِـنْ كـلِ الـدِّيَـارِ خَـرَابُهَـا

أَأَنْعَم عَيْشًـا بَعْـدَ مَـا حَـلَّ عَـارِضِـي ... طَلَائِعُ شَـيْـبٍ لَيْسَ يُغْنِي خِضَـابُهَـا

إِذَا اصْـفَرَّ لَوْنُ المَرْءِ وابْيَضَّ شَـعْرُهُ تَـنَغَّـصَ مِـنْ أَيَـامِـهِ مُسْـتَـطَـابُهَـا
وَعِـزَّةُ عُـمْـرِ المَـرْءِ قَـبْـلَ مَشِـيْـبِـهِ وَقَـدْ فَـنِيَـتْ نَـفسٌ تَـوَلّى شَـبَـابُهَا
فَـدَعْ عَـنْـكَ سَـوْآتِ الأمـورِ فـإِنَّهَـا حَـرَامٌ عـلى نَـفْسِ الـتَّـقِي ارْتِـكابُهَـا

وكما نقل عن ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ – أنه قال:

تَـمُـرُّ بِـنَـا الأَيَّـامُ تَـتْـرَى وَإِنَّـمَـا نُسَـاقُ إِلى الآجَـالِ وَالـعَـيْنُ تَـنْـظُـرُ
فلا عائدٌ ذاكَ الشَـباب الذي مَضَـى ولا زَائـلٌ هـذا المشـيـبُ المُـكَـدّرُ

عزاها له الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في "إنباء الغمر بأبناء العمر" (١/ ٤٠).
وابن العماد في "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" (٨/ ٣٩٨).

قال ابن أبي الحواري: وَسَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ يَقُولُ: «لَوْ لَمْ يَبْكِ الْعَاقِلُ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا عَلَى لَذَّةِ مَا فَاتَهُ مِنَ الطَّاعَةِ فِيمَا مَضَى كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُبْكِيَهُ حَتَّى يَمُوتَ. قُلْتُ لَهُ: فَلَيْسَ يَبْكِي عَلَى لَذَّةِ مَا مَضَى إِلَّا مَنْ وَجَدَ لَذَّةَ مَا بَقِيَ، فَقَالَ: لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ يَجِدُ لَذَّةَ الطَّاعَةِ إِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ وَجَدَ لَذَّتَهَا ثُمَّ تَرَكَهَا كَيْفَ صَبَرَ عَنْهَا». "حلية الأولياء" (٩/ ٢٧٥)، وسنده صحح.

وفي "المجالسة" للدينوري (٥٤٣)، وقال أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ يَقُولُ: لَوْ لَمْ يَبْكِ الْعَاقِلُ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا؛ إِلَّا عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ لَذَّةِ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا مَضَى مِنْ عُمْرِهِ، لَكَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُبْكِيَهُ ذَلِكَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَا سُلَيْمَانَ! إِنَّمَا يَبْكِي عَلَى لَذَّةِ مَا مَضَى مَنْ وَجَدَ الْإِيمَانَ فَقَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَهْلُ الطَّاعَةِ بِلَيْلِهِمْ أَلَذُّ مِنْ أَهْلِ اللهْوِ بِلَهْوِهِمْ، وَرُبَّمَا اسْتَقْبَلَنِي الْفَرَحُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَرُبَّمَا رَأَيْتُ الْقَلْبَ يَضْحَكُ ضَحِكًا. والدينوري فيه ضعف.

## أهمية الوقت

وقال ابنُ الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: فَيَنْبَغِيْ لِلعَاقِلِ أَنْ يَعْرِفَ شَرَفَ زَمَانِهِ وَقَدْرَ وَقْتِهِ فَلا يُضِيْعُ مِنْهُ لحظةً في غير قُربةٍ وَيُقَدَّمَ الأفضَلَ فالأفْضَلَ مِنْ القَوْلِ والعَمَل. "صيد الخاطر" (صـ: ٣٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: فَإِن بركَة الرجل تَعْلِيمه للخير حَيْثُ حل ونصحه لكل من اجْتمع بِهِ قَالَ الله تَعَالَى إِخْبَارًا عَن الْمَسِيح ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ مريم: ٣١ أَي: معلما للخير دَاعيا إِلَى الله مذكرا بِهِ مرغبا فِي طَاعَته فَهَذَا من بركَة الرجل وَمن خلا من هَذَا فقد خلا من الْبركَة ومحقت بركَة لِقَائِه والاجتماع بِهِ بل تمحق بركَة من لقِيه وَاجْتمعَ بِهِ فَإِنَّهُ يضيع الْوَقْت فِي الماجريات وَيفْسد الْقلب وكل آفَة تدخل على العَبْد فسببها ضيَاع الْوَقْت وَفَسَاد الْقلب وتعود بضياع حَظه من الله ونقصان دَرَجَته ومنزلته عِنْده وَلِهَذَا وصّى بعض الشُّيُوخ فَقَالَ احْذَرُوا مُخَالطَة من تضيع مخالطته الْوَقْت وتفسد الْقلب فَإِنَّهُ مَتى ضَاعَ الْوَقْت وَفَسَد الْقلب انفرطت على العَبْد أُمُوره كلهَا وَكَانَ مِمَّن قَالَ الله فِيهِ ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ الكهف: ٢٨ ."رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه" (صـ: ٥).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: الِاجْتِمَاع بالإخوان قِسْمَانِ:

أَحدهمَا: اجْتِمَاع على مؤانسة الطَّبْع وشغل الْوَقْت فَهَذَا مضرّته أرجح من منفعَته وَأَقل مَا فِيهِ أَنه يفْسد الْقلب ويضيع الْوَقْت.

الثَّانِي: الِاجْتِمَاع بهم على التعاون على أَسبَاب النجَاة والتواصي بِالْحَقِّ وَالصَّبْر فَهَذَا من أعظم الْغَنِيمَة وأنفعها وَلَكِن فِيهِ ثَلَاث آفَات:

أحداها: تزين بَعضهم لبَعض.

الثَّانِيَة: الْكَلَام والخلطة أَكثر من الْحَاجة.

الثَّالِثَة: أَن يصير ذَلِك شَهْوَة وَعَادَة يَنْقَطِع بهَا عَن الْمَقْصُود.

وَبِالْجُمْلَةِ فالاجتماع والخلطة لقاح، إما للنَّفس الأمارة، وَإِما للقلب وَالنَّفس المطمئنة والنتيجة مستفادة من اللقَاح، فَمن طلب لقاحه طابت ثَمَرَته. "الفوائد" لابن القيم (صـ: ٥١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: ثمَّ تبرق لَهُ بارقة أُخْرَى يرى فِي ضوئها عزة وقته وخطره وشرفه وَأَنه رَأس مَال سعادته فيبخل بِهِ أَن يضيعه فَمَا يقربهُ إِلَى ربه فَإِن فِي إضاعته الخسران وَالْحَسْرَة والندامة وَفِي حفظه وعمارته الرِّبْح والسعادة فيشح بأنفاسه أَن يضيعها فِيمَا لَا يَنْفَعهُ يَوْم معاده. "الروح" (صـ: ٢٢٥).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: رأيتُ عمومَ الخلائق يدفعون الزمان دفعًا عجيبًا: إن طال الليل، فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه غزاة وسمر! وإن طال النهار، فبالنوم! وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق! فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة، وهي تجري بهم، وما عندهم خبر! ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة الزاد، والتأهب للرحيل، إلا أنهم يتفاوتون... فالله الله في مواسم العمر! والبدار البدار قبل الفوات! "صيد الخاطر" (صـ: ١٥٧).

وهذا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ البَاقِي الحَنْبَلِيُّ البَزَّازُ، المَعْرُوفُ: بقَاضِي المَرْسْتَان، كَانَ يَقُوْلُ: حفظتُ القُرْآنَ وَأَنَا ابْنُ سَبْعٍ، وَمَا مِنْ علمٍ إِلَّا وَقَدْ نَظرتُ فِيْهِ، وَحصَّلْتُ مِنْهُ الكُلَّ أَوِ البَعْضَ، إِلَّا هَذَا النَّحْوَ، فَإِنِّي قَلِيْلُ البِضَاعَةِ فِيْهِ، وَمَا أَعْلَمُ أَنِّي ضَيَّعْتُ سَاعَةً مِنْ عُمُرِي فِي لَهْوٍ أَوْ لَعِبٍ. "سير أعلام النبلاء" ط الحديث (١٤/ ٤٣٩).

وَقَالَ السَّمْعَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: مَا رَأَيْتُ أَجْمَعَ لِلْفنُوْنِ مِنْهُ، نَظَرَ فِي كُلِّ علمٍ، فَبرعَ فِي الحسَابِ وَالفَرَائِضِ، سَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: تُبتُ مِنْ كُلِّ علمٍ تَعلَّمتُهُ إِلَّا الحَدِيْثَ وَعِلمَهُ، وَرَأَيْتُهُ وَمَا تَغَيَّرَ عَلَيْهِ مِنْ حَوَاسِّهِ شَيْءٌ، وَكَانَ يَقرَأُ الخَطَّ البعيدَ الدَّقيق، وَكَانَ سرِيعَ النَّسْخِ، حَسَنَ القِرَاءة لِلْحَدِيْثِ... "سير أعلام النبلاء" ط الحديث (١٤/ ٤٣٩)، "تاريخ بغداد وذيوله" ط العلمية (٢١/ ١٧). "ذيل طبقات الحنابلة" (١/ ٤٣٨).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: سَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: مَنْ خَدَمَ المحَابرَ، خَدَمَتْهُ المَنَابِرُ، يَجِبُ عَلَى المُعَلِّمِ أَنْ لاَ يُعَنِّفَ، وَعَلَى المتعلِّمِ أَنْ لاَ يَأْنفَ. وَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ثَلاَثٍ وَتِسْعِيْنَ سَنَةً صَحِيْحَ الحوَاسِّ لَمْ يَتغَيَّرْ مِنْهَا شَيْءٌ، ثَابِتَ العَقْلِ، يَقرَأُ الخطَّ الدَّقيقَ مِنْ بُعْدٍ... "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" (١٨/ ١٤).

سُئِلَ مَرَّةً عَنْ عُمْرِهِ فَأَنْشَدَ:

احْفَظْ لِسَانَكَ لَا تَبُحْ بِثَلَاثَةٍ ... سِنِّ وَمَالٍ مَا عَلِمْتَ وَمَذْهَبِ

فَعَلَى الثَّلَاثَةِ تُبْتَلَى بِثَلَاثَةٍ ... بِمُكَفِّرٍ وَبِحَاسِدٍ وَمُكَذِّبِ

وانظر: "الآداب الشرعية"(٣/ ٣٠٢)، و"البداية والنهاية" ط الفكر (١٢/ ٢١٧).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وسمعته يقول: كن على حذر من الكريم إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن العالم إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا عاشرته. "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" (١٨/ ١٤).

وهذا ابنُ عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ – قال عنه ابن الجَوْزِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: قرأت بخطّه ـ يعني ابن عَقِيْلٍ ـ: إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، فإذا تعطّل لساني من مذاكرة ومناظرة، وبصري من مُطَالَعَةٍ، عملت في حال فراشي وأنا مضطجعٌ، فلا أنهض إلا وقد يحصل لي ما أسطره، وإني لأجد من حرصي على العلم في عشر الثمانين، أشد مما كنت وأنا ابن عشرين. "المنتظم" (١٧/ ١٨١)، "ذيل طبقات الحنابلة" (١/ ٣٢٤).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: قلتُ: وذكر ابن عقل، في فنونه: قَالَ حنبلي – يعني نفسه –: أنا أقصرُ بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سف الكعك وتحسيه بالماء على الخبزة لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفرا على مطالعة، أو تسطير فائدة، لم أدركها فيه. "ذيل طبقات الحنابلة"(١/ ٣٢٥).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وكان عامر بن عبد القيس يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، فلقيه رجل فقال: أكلمك كلمة. فقال: أمسك الشمس.

وقال لرجل سأله: اعجل فإني مبادر، قال: وما الذي تبادر؟ قال: خروج روحي.

وقال عثمان الباقلاني: أبغض الأشياء إليَّ وقت الفطر؛ لأني أشتغل بالأعمال عن الذكر.

وكان داودُ الطائي، يَشْرَبُ الْفَتِيتَ وَلَا يَأْكُلُ الْخُبْزَ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: بَيْنَ مَضْغِ الْخُبْزِ وَشُرْبِ الْفَتِيتِ قِرَاءَةُ خَمْسِينَ آيَةً. "المجالسة وجواهر العلم" للدينوري (٥٤)، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيُّ، نَا أَبُو نُعَيْمٍ، قَالَ: كان دَاوُدُ الطَّائِيُّ فذكره.

وَكَانَ الْخَلِيلُ بنُ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ – يَقُولُ: أَثْقَلُ سَاعَاتٍ عَلَيَّ سَاعَة آكل فِيهَا. "الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه" (صـ: ٨٧).

وَحُكِيَ عَنْ ثَعْلَبٍ، أَنَّهُ كَانَ لَا يُفَارِقُهُ كِتَابٌ يَدْرُسُهُ، فَإِذَا دَعَاهُ رَجُلٌ إِلَى دَعْوَةٍ شَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يُوَسِّعَ لَهُ مِقْدَارَ مَسُورَةٍ، يضع فِيهَا كتابا وَيقْرَأ.

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الْخَيَّاطُ النَّحْوِيُّ، يَدْرُسُ جَمِيعَ أَوْقَاتِهِ، حَتَّى فِي الطَّرِيقِ، وَكَانَ رُبَّمَا سَقَطَ فِي جَرْفٍ أَوْ خَبطَتْهِ دَابَّةٌ.

وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّهِ كَانَ يَشُدُّ فِي وَسَطِهِ خَيْطًا إِذا قَامَ من اللَّيْل يدرس خوفًا أَنْ يَسْقُطَ إِذَا نَعَسَ.

وَكَانَ ابْنُ الْفُرَاتِ، لَا يَتْرُكُ كُلَّ يَوْمٍ إِذَا أَصْبَحَ أَنْ يَحْفَظَ شَيْئًا وَإِنْ قَلَّ.

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: مَتَى تَبْلُغُ مِنَ الْعِلْمِ مَبْلَغًا يُرْضِي، وَأَنْتَ تُؤْثِرُ النَّوْمَ عَلَى الدَّرْسِ، وَالأَكْلَ عَلَى الْقِرَاءَةِ. "الحث على طلب العلم" (صـ: ٧٧). لأبي هلال العسكري.

وَاشْتَرَى أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ لَهُ جَارِيَةً، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ، أَقْبَلَ عَلَى الدَّرْسِ، وَالْجَارِيَةُ تَنْتَظِرُ اجْتِمَاعَهُ مَعَهَا، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ سَارَتْ إِلَى النخاس وَقَالَتْ: حَبَسُونِي مَعَ مَجْنُونٍ.

فَبَلَغَ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –قَوْلُهَا، فَقَالَ: الْمَجْنُونُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَ الْعِلْمِ ثُمَّ ضَيَّعَهُ، أَوْ تَوَانَى فِيهِ حَتَّى فَاتَهُ. "الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه" (صـ: ٧٨).

قال أَبُو الْوَلِيدِ سُلَيْمَانُ بْنُ خَلَفِ بْنِ سَعْدٍ الْأَنْدَلُسِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ – كما في "اقتضاء العلم العمل" للخطيب البغدادي (صـ: ١٠٦):

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا ... بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَةِ

فَلِمَ لَا أَكُونُ ضَنِينًا عليهَا ... وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةِ

قال السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في وصفه لابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: إنما كانت هِمَّتُه المطالعة والقراءة والسماع والعبادة والتصنيف والإفادة، بحيث لم يكن يخلي لحظة مِنْ أوقاته عن شيء مِنْ ذلك، حتى في حال أكله وتوجُّهه وهو سالك كما حكى لي ذلك بعض رفقته الذين كانوا معه في رحلته، وإذا أراد اللَّه أمرًا هيّأ أسبابه.

وقد سمعته – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – يقول غير مرة: إنني لأتعجب مِمَّن يجلس خاليًا عن الاشتغال. هذا أو معناه. "الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر" (١/ ١٧٠).

كانَ أبو الْعَبَّاسِ الدِّينَوَرِيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ – يَقُولُ: «لَيْسَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَعَزُّ وَأَلْطَفُ مِنَ الْوَقْتِ وَالْقَلْبِ وَأَنْتَ مُضَيِّعٌ لِلْوَقْتِ وَالْقَلْبِ» "الزهد الكبير" للبيهقي (٧٧٦). وسنده صحيح.

وجاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: «إِنِّي لَأَبْغَضُ الرَّجُلَ أَرَاهُ فَارِغًا لَا فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ وَلَا فِي أَمْرِ آخِرَتِهِ».

أخرجه وكيع في "الزهد"(٣٦٩)، ومن طريقه أبو داود في "الزهد"(١٧٤)، وأحمد في "الزهد"(٨٧٤)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٣٣/ ١٧٨)، وأخرجه البيهقي في "الزهد"(٧٧٥). كلهم من طريق الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ، عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولم يلقه.

قَالَ ابو حَاتِم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: رِوَايَته عَن ابْن مَسْعُود مُرْسلَة لم يلق ابْن مَسْعُود وَلم يلق عليا إِنَّمَا يروي عَن مُجَاهِد وَغَيره.
وقَالَ أَحْمَد بن حَنْبَل: لم يسمع من عبد الله بن مَسْعُود شَيْئا. كما في "تحفة التحصيل" (صـ: ٣٠٤).

## الحرص على الوقت

كان يَحْيَى بْنَ مُعَاذٍ الرَّازِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – يَقُولُ: «الْمَغْبُونُ مَنْ عَطَّلَ أَيَّامَهُ بِالْبَطَالَاتِ، وَسَلَّطَ جَوَارِحَهُ عَلَى الْهَلَكَاتِ، وَمَاتَ قَبْلَ إِفَاقَتِهِ مِنَ الْجِنَايَاتِ». أخرجه البيهقي في "الزهد"(٧٧٨)، والخطيب في "الزهد والرقائق"(١١١)، وابن الجوزي في "المسلسلات"(صـ:٦٣)، وفي ذم "الهوى"(صـ:٢١٧)، وفيه علي بن محمد بن العلاء، لم أجد فيه جرحًا ولا تعديلا.

وكان أبو عُثْمَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ – يَقُولُ: «ابْكُوا قَبْلَ أَنْ تَتَمَنَّوا أَنْ تَبْكُوا فَلَا تَقْدِرُوا عَلَيْهِ، ابْكُوا عَلَى ثَرْوَتِكُمْ وَشَبَابِكُمْ، ثُمَّ اغْتَنِمُوا بَقِيَّةَ أَعْمَارِكُمْ فَقَدْ قَالَ الصَّادِقُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَقِيَّةُ عُمْرِ الرَّجُلِ لَا ثَمَنَ لَهُ». أخرجه البيهقي في "الزهد"(٧٩٧)، من طريق رَيْطَةَ بِنْتَ عُبَيْدِ اللَّهِ الزَّاهِدَةَ تَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا عُثْمَانَ فذكره.

عن عاصم الأحول قَالَ: قَالَ فُضَيْلٌ الرَّقَاشِيُّ وَأَنَا أُسَائِلُهُ: يَا هَذَا " لَا يَشْغَلَنَّكَ كَثْرَةُ النَّاسِ عَنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَخْلُصُ إِلَيْكَ دُونَهُمْ وَلَا تَقُلْ: أَذْهَبُ هَا هُنَا، وَهَا هُنَا لِيَذْهَبَ عَلَيَّ النَّهَارُ، فَإِنَّهُ مَحْفُوظٌ عَلَيْكَ وَلَمْ نَرَ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ طَلَبًا وَلَا أَسْرَعَ إِدْرَاكًا مِنْ حَسَنَةٍ حَدِيثَةٍ لِذَنْبٍ قَدِيمٍ». أخرجه البيهقي في "الزهد"(٧٨١)، وأبو نعيم في "الحلية"(٣/ ١٢٠)، وفيه أَبُو الْحَرِيشِ أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى الْكِلَابِيُّ، روى عن جماعة ورووا عنه ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلا.

قال عِيسَى الْبَسْطَامِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «إِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ رَأْسُ مَالِ الْمُؤْمِنِ، رِبْحُهَا الْجَنَّةُ وَخُسْرَانُهَا النَّارُ». أخرجه البيهقي في "الزهد"(٧٨٨). وفيه من لا يعرف بجرح ولا تعديل.

قال أبو الْقَاسِمِ الْجُنَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - يَقُولُ: «الْعُمْرُ قَصِيرٌ، وَالْوَقْتُ ضَيِّقٌ، وَالْأَيَّامُ تُقْضَى وَلَيْسَ فِي الْوَقْتِ فَضْلٌ». أخرجه البيهقي في "الزهد"(٧٨٥)، قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نُصَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الْجُنَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ: فذكره وسنده صحيح.

قال إِبْرَاهِيمَ بْنَ شَيْبَانَ الزَّاهِدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - يَقُولُ: «مَنْ حَفِظَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْقَاتَهُ، فَلَا يُضَيِّعُهَا بِمَا لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ حَفِظَ اللَّهُ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ». أخرجه البيهقي في "الزهد"(٤٨٢)، و(٧٩٤). بسند صالح للتحسين.

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: "أدب الدنيا والدين" (صـ: ٥٥).

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: مَنْ أَمْضَى يَوْمَهُ فِي غَيْرِ حَقٍّ قَضَاهُ، أَوْ فَرْضٍ أَدَّاهُ، أَوْ مَجْدٍ أَثَّلَهُ أَوْ حَمْدٍ حَصَّلَهُ، أَوْ خَيْرٍ أَسَّسَهُ أَوْ عِلْمٍ اقْتَبَسَهُ، فَقَدْ عَقَّ يَوْمَهُ وَظَلَمَ نَفْسَهُ.

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ: وَأَسْبَابُ الْبَلَاءِ مِنْ الْفَرَاغِ

لَقَدْ أَهَاجَ الْفَرَاغُ عَلَيْك شُغْلًا ... وَرُبَّ أُمْنِيَةٍ أَحْلَى مِنَ الظَّفَرِ

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: يَا من أنفاسه مَحْفُوظَة وأعماله ملحوظة أينفق الْعُمر النفيس فِي نيل الْهوى الخسيس.

جَـدّ الـزّمـانُ وأنـتَ تـلـعَـب ... والـعـمـرُ لَا فِي شَـيْء يـذهـب

كـم كـم تَـقـولُ غَـدًا أَتُـوب ... غَـدًا غَـدًا وَالْمَـوْتُ أقـرب

أما عمرك كل يَوْم ينتهب، أما الْمُعظم مِنْهُ قد ذهب فِي أَي شَيْء؟ فِي جمع الذَّهَب تبخل بِالْمَالِ والعمر تَهَب،

يَا من إِذا خلا تفكر وَحسب فَأَما نزُول الْمَوْت فَمَا حسب لَك نوبَة لَا تشبه النوب، بَين يَديك كربَة لَا كالكرب، تطلب النجَاة وَلَكِن لَا من بَاب الطّلب،

تقف فِي الصلاة إِن صَلَاتك عجب الْجِسْم حَاضر وَالْقلب فِي شعب الْجَسَد بالعراق وَالْقلب فِي حلب، الْفَهم أعجمي وَاللَّفْظ لفظ الْعَرَب أَنا أعلم بك مِنْك حب الْهوى قد غلب وَمَتى أسر الْهوى قلبا لم يفلح وَكتب ... "المدهش" (صـ: ٥٢٩).

## الوقت عند السلف

قد تقدم كيف كان حرص من سلف على أوقاتهم ولما تقدم يضافُ

فعَنْ هِشَامٍ؛ قَالَ: قِيلَ لِلْحَسَنِ: لِمَ لَا تَغْسِلُ قَمِيصَكَ؟ قَالَ: الْأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَلِكَ.

كما في "تاريخ ابن معين" ـ رواية الدوري ـ(١٧٩٢)، ومن طريقه الدينوري في "المجالسة" (٤٧٣)، والبيهقي في "الزهد الكبير" (٥٨٧).

قال ابن معين: حَدثنَا أَبُو مُعَاوِيَة عَن هِشَام قَالَ قيل لِلْحسنِ لم لَا تغسل قَمِيصك...الخ. ورواية هشام بن حسان عن الحسن فيها كلام. قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: ثقة من أثبت الناس في ابن سيرين، وفي روايته عن الحسن وعطاء مقال؛ لأنه قيل كان يرسل عنهما. "تقريب التهذيب" (صـ: ٥٧٢).

قال رَجُلٌ لِدَاوُدَ الطَّائِيِّ: «أَلا تُسَرِّحُ لِحْيَتَكَ؟! قَالَ: إِنِّي عَنْهَا لَمَشْغُولٌ. أخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء"(٧/ ٣٣٩)، ومن طريقه الدينوري في "المجالسة"(٣١٤٢)، والبيهقي في "الشعب" (٦٠٥٢)، والخطيب "تاريخ بغداد" ت بشار (٩/ ٣١١). وله طرق متعددة قابلة للتحسين والله أعلم. وله ألفاظ عند البيهقي في الزهد، وأبي نعيم في الحلية. وفي "حلية الأولياء"(٧/ ٣٣٩)، والزهد الكبير"(١٦٤) و(٣٣٧) و(٥٨٨) قَالَ: إِنِّي إِذًا لَفَارِغٌ.

ولا يعني هذا أن الإنسان لا يهتم بنظافة ثوبه وشعره فقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ»، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، رواه أبوداود (٤١٦٣)، وهو في "السلسلة الصحيحة"(٥٠٠).

وجاء عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ». رواه مسلم (٩١).

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اعْتَكَفَ، يُدْنِي إِلَيَّ رَأْسَهُ فَأُرَجِّلُهُ، وَكَانَ لَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ إِلَّا لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ». رواه البخاري (٢٠٢٨)، (٢٠٢٩)، ومسلم (٢٩٧).

قال ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ –: وَأَوْصَى بَعْضُ السَّلَفِ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: إذَا خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِي فَتَفَرَّقُوا لَعَلَّ أَحَدَكُمْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي طَرِيقِهِ، وَمَتَى اجْتَمَعْتُمْ تَحَدَّثْتُمْ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الزَّمَانَ أَشْرَفُ مِنْ أَنْ يَضِيعَ مِنْهُ لَحْظَةٌ فَكَمْ يَضِيعُ لِلْآدَمِيِّ مِنْ سَاعَاتٍ يَفُوتُهُ فِيهَا الثَّوَابُ الْجَزِيلُ، وَهَذِهِ الْأَيَّامُ مِثْلُ الْمَزْرَعَةِ، وَكَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ: لِلْإِنْسَانِ كُلَّمَا بَذَرْت حَبَّةً أَخْرَجْنَا لَك أَلْفًا، هَلْ تَرَى يَجُوزُ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَتَوَقَّفَ عَنْ الْبَذْرِ أَوْ يَتَوَانَى؟ وَالَّذِي يُعِينُ عَلَى اغْتِنَامِ الزَّمَانِ الِانْفِرَادُ وَالْعُزْلَةُ مَهْمَا أَمْكَنَ وَالِاخْتِصَارُ عَلَى السَّلَامِ أَوْ حَاجَةٍ مُهِمَّةٍ لِمَنْ يَلْقَى، وَقِلَّةُ الْأَكْلِ فَإِنَّ كَثْرَتَهُ سَبَبُ النَّوْمِ الطَّوِيلِ وَضَيَاعِ اللَّيْلِ، وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيَرِ السَّلَفِ وَآمَنَ بِالْجَزَاءِ بَانَ لَهُ مَا ذَكَرْته. "الآداب الشرعية" (٣/ ٤٧٤).

قال عَبْدُ اللهِ بْنُ الْأَجْلَحِ: كَانَ أَبُو سِنَانٍ ضِرَارُ بْنُ مُرَّةَ يَقُولُ لَنَا: «لَا تَجِيئُونِي جَمَاعَةً، لِيَجِيءِ الرَّجُلُ وَحْدَهُ، فَإِنَّكُمْ إِذَا اجْتَمَعْتُمْ تَحَدَّثْتُمْ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ أَنْ يَدْرُسَ حِزْبَهُ، أَوْ يَذْكُرَ رَبَّهُ». أخرجه أبو سعيد الأشج في جزء "حديث أبي سعيد الأشج" (صـ: ٢٥٤) برقم (١٣٦)، ومن طريقه أبو نعيم في "حلية الأولياء"(٥/ ٩١)، وابن الجوزي في "المنتظم"(٧/ ٣٢٣). قال أبو سعيد: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْأَجْلَحِ قَالَ: كَانَ أَبُو سِنَانٍ ضِرَارُ بْنُ مُرَّةَ فذكره. وسنده حسن.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ –: وَأعظم هَذِه الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إِضَاعَة إِضَاعَة الْقلب وإضاعة الْوَقْت فإضاعة الْقلب من إِيثَار الدُّنْيَا على الْآخِرَة وإضاعة الْوَقْت من طول الأمل فَاجْتمع الْفساد كُله فِي إتباع الْهوى وَطول الأمل وَالصَّلَاح كُله فى اتِّبَاع لهدى والاستعداد للقاء وَالله الْمُسْتَعَان. "الفوائد" لابن القيم (صـ: ١١٢).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: أعوذ بالله من صحبة البطالين! لقد رأيت خلقًا كثيرًا يجرون معي فيما قد اعتاده الناس من كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطلبون الجلوس، ويجرون فيه أحاديث الناس، وما لا يعني، وما يتخلله غيبة!

وهذا شيء يفعله في زماننا كثير من الناس، وربما طلبه المزور، وتشوق إليه، واستوحش من الوحدة، وخصوصًا في أيام التهاني والأعياد، فتراهم يمشي بعضهم إلى بعض، ولا يقتصرون على الهناء والسلام، بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان.

فلما رأيت أن الزمان أشرف شيء، والواجب انتهابه (كأنها انتهازه) بفعل الخير، كرهت ذلك، وبقيت معهم بين أمرين: إن أنكرت عليهم، وقعت وحشة، لموضع قطع المألوف! وإن تقبلته منهم، ضاع الزمان! فصرت أدافع اللقاء جهدي: فإذا غلبت، قصرت في الكلام، لأتعجل الفراق.

ثم أعددت أعمالًا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم، لئلا يمضي الزمان فارغًا، فجعلت من المستعد للقائهم: قطع الكاغد، وبري الأقلام، وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بد منها، ولا تحتاج إلى فكر، وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم، لئلا يضيع شيء من وقتي. نسأل الله عز وجل أن يعرفنا شرف أوقات العمر، وأن يوفقنا لاغتنامه.

ولقد شاهدت خلقًا كثيرًا لا يعرفون معنى الحياة: فمنهم من أغناه الله عن التكسب بكثرة ماله، فهو يقعد في السوق أكثر النهار، ينظر إلى الناس، وكم تمر به من آفة ومنكر! ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج! ومنهم من يقطع الزمان بكثرة الحديث عن السلاطين، والغلاء والرخص، إلى غير ذلك: فعلمت أن الله تعالى لم يطلع على شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية إلا من وفقه وألهمه اغتنام ذلك.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فصلت: ٣٥."صيد الخاطر"(صـ: ٢٤١و٢٤٢).

الكاغد: ورق الكتابة.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: تأملت أحوال الناس في حالة علو شأنهم، فرأيت أكثر الخلق تبين خسارتهم حينئذ، فمنهم من بالغ في المعاصي من الشباب، ومنهم من فرط في اكتساب العلم، ومنهم من أكثر من الاستمتاع باللذات: فكلهم نادم في حالة الكبر، حين فوات الاستدراك لذنوب سلفت، أو قوى ضعفت، أو فضيلة فاتت، فيمضي زمان الكبر في حسرات؛ فإن كانت للشيخ إفاقة من ذنوب قد سلفت، قال: وا أسفا على ما جنيت! وإن لم يكن له إفاقة، صار متأسفًا على فوات ما كان يلتذ به. فأما من أنفق عصر الشباب في العلم؛ فإنه في زمن الشيخوخة يحمد جني ما غرس، ويلتذ بتصنيف ما جمع، ولا يرى ما يفقد من لذات البدن شيئًا بالإضافة إلى ما يناله من لذات العلم، هذا مع وجود لذاته في الطلب الذي كان تأمل به إدارك المطلوب، وربما كانت تلك الأعمال أطيب مما نيل منها، كما قال الشاعر:

أَهْتَزُّ عِنْدَ تَمَنِّي وَصْلِهَا طَرَبًا وَرُبَّ أُمْنِيَةٍ أَحْلَى مِنَ الظَّفْرِ

ولقد تأملت نفسي بالإضافة إلى عشيرتي الذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدنيا، وأنفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم، فرأيتني لم يفتني مما نالوه؛ إلا ما لو حصل لي، ندمت عليه.

ثم تأملت حالي، فإذا عيشي في الدنيا أجود من عيشهم، وجاهي بين الناس أعلى من جاههم، وما نلته من معرفة العلم لا يقاوم. فقال لي إبليس: ونسيت تعبك وسهرك؟! فقلت له: أيها الجاهل! تقطيع الأيدي لا وقع له عند رؤية يوسف، وما طالت طريق أدت إلى صديق.

جزى الله المسير إليه خيرًا وإن ترك المطايا كالمزاد

ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل؛ لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة، شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم... الخ. وله كلام جميل "صيد الخاطر" (صـ: ٢٤٧ـ٢٤٨).

قال عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّامِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ – كما في "أدب الدنيا والدين" (صـ: ٩٨).

الْعُمْرُ يَنْقُصُ وَالذُّنُوبُ تَزِيدُ ... وَتُقَالُ عَثَرَاتُ الْفَتَى فَيَعُودُ

هَلْ يَسْتَطِيعُ جُحُودَ ذَنْبٍ وَاحِدٍ ... رَجُلٌ جَوَارِحُهُ عَلَيْهِ شُهُودُ

وَالْمَرْءُ يُسْأَلُ عَنْ سِنِيهِ فَيَشْتَهِي ... تَقْلِيلَهَا وَعَنْ الْمَمَاتِ يَحِيدُ

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: صحبت أبا عثمان النيسابوري وأقرانه، وحفظت عنهم من كلامهم، وصلت حتى أقعدت. "المنتظم" (١٤/ ٦٧).

قَالَ ابنُ رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أبيات له طيبة منها كما في "مجموع رسائل ابن رجب" (١/ ٢٦٧):

أفي دار الخراب تظل تبني ... وتعمر ما لعمران خُلقتا

وما تركت لك الأيامُ عذرًا ... لقد وعظتك لكن ما اتعظتا

تُنادي للرحيل بكل حين ... وتُعلن إنَّمَا المقصودُ أنتا

وتُسمعك النداءَ وأنت لاهٍ ... عن الداعي كأنَّك ما سمعتا

وتعلم أنَّه سفرٌ بعيد ... وعن إعداد زادٍ قد غفلتا

تنام وطالب الأيام ساع ... وراءك لا ينام فكيف نمتا

معائب هذه الدُّنْيَا كثير ... وأنت عَلَى محبَّتها طُبعتا

يضيع العمرُ في لعبٍ ولهو ... ولو أُعطيت عقلاً ما لعبتا

فما بعد الممات سوى جحيمٍ ... لعاص أو نعيم إنْ أطعتا

## الفرح بالمال لا يدوم

وَيَا حَرِيصًا عَلَى الأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا أُنْسِيتَ أَنَّ سُرُورَ المَالِ أَحْزَانُ

زَعِ الفُؤَادَ عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا فَصَفْوُهَا كَدَرٌ وَالْوَصْلُ هِجْرَانُ

الحرصُ على جمعِ الأموال قد يكونُ مذموماً يقول اللهُ تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ المعارج: ١٥ – ٢١

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في "تفسيره": أَيْ جَمَعَ الْمَالَ فَجَعَلَهُ فِي وِعَائِهِ وَمَنَعَ مِنْهُ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانَ جَمُوعًا مَنُوعًا.ا.هـ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ –في "تفسيره": أَيْ: جَمَعَ الْمَالَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَأَوْعَاهُ، أَيْ: أَوْكَاهُ وَمَنَعَ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ فِي النَّفَقَاتِ وَمِنْ إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ.ا.هـ.

ويقولُ اللهُ تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ الهمزة: ١ – ٩

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: ومن صفة هذا الهماز اللماز، أنه لا هم له سوى جمع المال وتعديده والغبطة به، وليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخيرات وصلة الأرحام، ونحو ذلك.ا.هـ.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَصَفَهُ بِالطَّعْنِ فِي النَّاسِ وَالْعَيْبِ لَهُمْ وَبِجَمْعِ الْمَالِ وَتَعْدِيدِهِ. "مجموع الفتاوى" (١٦/ ٥٢٢).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: لقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ أخلده بمعنى يخلده، والمعنى: يظن ماله مانعاً له من الموت، فهو يعمل عمل من لا يظن أنه يموت كَلَّا أي: لا يخلده ماله ولا يبقى له لَيُنْبَذَنَّ أي: ليُطْرَحَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وهو اسم من أسماء جهنم. سميت بذلك لأنها تحطم ما يُلقى فيها، أي: تكسره، فهي تكسر العظم بعد أكلها اللحم. ويقال للرجل الأكول: إنه لَحُطَمة.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ – "جامع بيان العلم وفضله" (١/ ٣٨٦):

يَا مَنْ يَرَى الْعِلْمَ جَمْعَ الْمَالِ وَالْكُتُبِ ... خُدِعْتَ وَاللَّهِ لَيْسَ الْجِدُّ كَاللَّعِبِ

الْعِلْمُ وَيْحَكَ مَا فِي الصَّدْرِ تَجْمَعُهُ ... حِفْظًا وَفَهْمًا وَإِتْقَانًا فِدَاكَ أَبِ

لَا مَا تَوَهَّمَهُ الْعَبْدِيُّ مِنْ سَفَهٍ ... إِذْ قَالَ مَا تَبْتَغِي عِنْدِي وَفِي كُتُبِي

قَالَ الْحَكِيمُ مَقَالًا لَيْسَ يَدْفَعُهُ ... ذُو الْعَقْلِ مَنْ كَانَ مِنْ عَجَمٍ ومن عرب

مَا إِنْ يَنَالُ الْفَتَى عِلْمًا وَلَا أَدَبًا ... بِرَاحَةِ النَّفْسِ وَاللَّذَّاتِ وَالطَّرَبِ

نَعَمْ وَلَا بِاكْتِسَابِ الْمَالِ تَجْمَعُهُ ... شَتَّانَ مَا بَيْنَ اكْتِسَابِ الْعِلْمِ والذهب

أَلَيْسَ فِي الْأَنْبِيَاءِ الرُّسْلِ أُسْوَتُنَا ... عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ الرَّبِّ ذِي الْحُجُبِ

حَازُوا الْعُلُومَ وَعَنْهُمْ حَمَلَةٌ وَرِثَتْ ... وَعَاشَ أَكْثَرُهُمْ جَهْلًا بِلَا نَسَبِ

قال سَعِيدُ بْنَ الْمُسَيِّبِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: «لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُرِيدُ جَمْعَ الْمَالِ مِنْ حِلِّهِ، يَكُفُّ بِهِ وَجْهَهُ عَنِ النَّاسِ، وَيَصِلُ بِهِ رَحِمَهُ، وَيُعْطِي مِنْهُ حَقَّهُ». أخرجه ابن أبي الدنيا في "إصلاح المال"(صـ: ٣٥) برقم (٥٥)، وأبو نعيم في "الحلية" (٢/ ١٧٣)، وسنده ضعيف؛ فيه عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زِيَادِ بْنِ أَنْعُمٍ. قال أحمد: ليس بشيء. كما في "تهذيب التهذيب" (٦/ ١٧٤).

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: جَمْعَ الْمَالِ وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا لَكِنِ الْجَامِعُ مسؤول عَنْهُ وَفِي الْمُحَاسَبَةِ خَطَرٌ وَإِنْ كَانَ التَّرْكُ أَسْلَمَ وَمَا وَرَدَ مِنَ التَّرْغِيبِ فِي تَحْصِيلِهِ وَإِنْفَاقِهِ فِي

حَقِّهِ فَمَحْمُولٌ عَلَى مَنْ وَثِقَ بِأَنَّهُ يَجْمَعُهُ مِنَ الْحَلَالِ الَّذِي يَأْمَنُ خَطَرَ الْمُحَاسَبَةِ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ إِذَا أَنْفَقَهُ حَصَلَ لَهُ ثَوَابُ ذَلِكَ النَّفْعِ الْمُتَعَدِّي وَلَا يَتَأَتَّى ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يُحَصِّلْ شَيْئًا. "فتح الباري" لابن حجر (٣/ ٢٧٧).

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا». رواه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥).

قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ –: ومما لا ريب فيه أن الكفاف يختلف باختلاف الأشخاص والأزمان والأحوال، فينبغي للعاقل أن يحرص على تحقيق الوضع الوسط المناسب له، بحيث لا ترهقه الفاقة، ولا يسعى وراء الفضول الذي يوصله إلى التبسط والترفه، فإنه في هذه الحال قلما يسلم من عواقب جمع المال، لاسيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه مفاتنه، وتيسرت على الأغنياء سبله. أعاذنا الله تعالى من ذلك، ورزقنا الكفاف من العيش. "السلسلة الصحيحة" عند حديث رقم (١٣٠).

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ –: مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ طَلَبَ الْكَفَافَ فَإِنَّ الْقُوتَ مَا يَقُوتُ الْبَدَنَ وَيَكُفُّ عَنِ الْحَاجَةِ وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ سَلَامَةٌ مِنْ آفَاتِ الْغِنَى وَالْفَقْرِ جَمِيعًا. كما في "فتح الباري" لابن حجر (١١/ ٢٩٣).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ –: ومتى كثر، تشتت الهم، فالعاقل من علم أن الدنيا لم تخلق للتنعيم، فقنع بدفع الوقت على كل حال. "صيد الخاطر" (صـ: ٣٢٩).

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُبَالِي المَرْءُ بِمَا أَخَذَ المَالَ، أَمِنْ حَلاَلٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ. رواه البخاري (٢٠٨٣).

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لاَبْتَغَى ثَالِثًا، وَلاَ يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ». رواه البخاري (٦٤٣٦)، ومسلم (١٠٤٩).

عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى المِنْبَرِ بِمَكَّةَ فِي خُطْبَتِهِ، يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ أُعْطِيَ وَادِيًا مَلْئًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَانِيًا، وَلَوْ أُعْطِيَ ثَانِيًا أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَالِثًا، وَلاَ يَسُدُّ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» البخاري (٦٤٣٨)

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ» مسلم (١٠٨٤)، ولفظ البخاري (٦٤٣٩) «لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»

عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ» البخاري (٦٤٢٠) ومسلم (١٠٤٦).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ المَالِ، وَطُولُ العُمُرِ». البخاري (٦٤١٢)، ومسلم (١٠٤٧).

قلة المال أقل عند الحساب، وكثرة المال تسبب الأحزان والغموم فلا تنس ذلك.

قال صالح بن عبد القدوس المتوفى سنة ٨٥٥ هـ: كما في "مجاني الأدب في حدائق العرب" (٤/ ٩٠).

وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيعَةٌ أُوْدِعْتَهَا ... سَتُرَدُّهَا بِالرَّغمِ مِنْكَ وَتُسْلَبُ

وغُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَ لها ... دَارٌ حَقِيقَتُهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ

وَاللَّيْلُ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارُ كِلاهُمَا ... أَنْفَاسُنَا فِيهَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ

وَجَمِيعُ مَا خَلَّفْتَهُ وَجَمَعْتَهُ ... حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يُنْهَبُ

تَبًّا لِدَارٍ لا يَدُومُ نَعِيمُهَا ... وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرَبُ

"زَعِ الفُؤَادَ عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا" ويروى دع الفؤاد: أي: اترك وهنا بمعنى بعد وجنب قلبك، زع من وزع، أي: كف قلبك عن حب الدنيا.

والمعنى: لا تعلق قلبك بالدنيا وزخارفها.

"وزخرفها"، قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: والزُّخْرُفُ فِي الْأَصْلِ: الذهَبُ وَكَمَالُ حُسْن الشَّيْءِ. "النهاية"(٢/ ٢٩٩).

قال الخليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: زخرف: الزُّخْرُفُ: الزينة، وبيت مُزَخْرَفٌ. وتَزَخْرَفَ الرجل: تزين. والزَّخْرُفُ: الذهب. "العين" (٤/ ٣٣٨).

وفي "الصحاح"(٤/ ١٣٦٩): ثمَّ يُشَبَّهُ به كل مموَّهٍ مزوَّرٍ.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ طه: ١٣١

وقال الله: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الحجر: ٨٨

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ طه: ١٣١. يَتَنَاوَلُ النَّظَرَ إلَى الْأَمْوَالِ وَاللِّبَاسِ وَالصُّوَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، أَمَّا اللِّبَاسُ وَالصُّوَرُ فَهُمَا اللَّذَانِ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إلَيْهِمَا كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {إنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إلَى أَمْوَالِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ} وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾ مريم: ٧٤ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يُمَتِّعُ بِالصُّوَرِ كَمَا يُمَتِّعُ بِالْأَمْوَالِ وَكِلَاهُمَا مِنْ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكِلَاهُمَا يَفْتِنُ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَرُبَّمَا أَفْضَى بِهِ إلَى الْهَلَاكِ دُنْيَا وَأُخْرَى. وَالْهَلْكَى رَجُلَانِ. فَمُسْتَطِيعٌ وَعَاجِزٌ فَالْعَاجِزُ مَفْتُونٌ بِالنَّظَرِ وَمَدِّ الْعَيْنِ إلَيْهِ وَالْمُسْتَطِيعُ مَفْتُونٌ فِيمَا أُوتِيَ مِنْهُ غَارِقٌ قَدْ أَحَاطَ بِهِ مَا لَا يَسْتَطِيعُ إنْقَاذَ نَفْسِهِ مِنْهُ. "مجموع الفتاوى" (١٥/ ٣٩٧ـ٣٩٨).

وقال: وَمَنْ نَظَرَ إلَى الْخَيْلِ وَالْبَهَائِمِ وَالْأَشْجَارِ عَلَى وَجْهِ اسْتِحْسَانِ الدُّنْيَا وَالرِّئَاسَةِ وَالْمَالِ فَهُوَ مَذْمُومٌ. "الفتاوى الكبرى" لابن تيمية (٥/ ٤٤٩).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكلية، فلا يلتفت إليها، ولا يدعها تساكن قلبه، وإن كانت في يده. فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك. وهذا كحال الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز الذي يضرب بزهده المثل مع أن خزائن الأموال تحت يده، بل كحال سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح، ولا يزيده ذلك إلا زهداً فيها. "طريق الهجرتين" (صـ: ٢٥٢).

فكن متعلقًا بالله قرير العين به لا بالدنيا فهي متاع قليل زائل

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات. "الوابل الصيب من الكلم الطيب" (صـ: ٤٩).

"فَصَفْوُهَا كَدَرٌ وَالْوَصْلُ هِجْرَانُ" أي: خالصها مكدر لا تدوم الفرحة به ولا السرور بل يعقبها منغصات وأحزان لأن هذه هي حقيقة الدنيا.

وصفو الشيء خالصه.

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: كدر: الكدرُ: ضد الصَّفْوِ، يُقَالُ كَدِرَ الْمَاءُ وَكَدُرَ.

ويُقالُ: خُذْ مَا صَفَا وَدَعْ مَاكَدُرَ. "مجمل اللغة" لابن فارس (صـ: ٧٨٠).

ووصلُها بالانشغال بها وعمارتها فلا يعني ذلك أنك مخلد فيها وماكث بل أنت تارك لها وراحل، فوصلها في الحقيقة هو هجران للطاعة والعبادة والدار الآخرة.

وقد رُويَ (الدنيا ضرة الآخرة) قال الألباني: لا أصل له. "الضعيفة" رقم(٣٣).

قال عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود، قَالَ: «مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ أَضَرَّ بِالدُّنْيَا وَمَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا أَضَرَّ بِالْآخِرَةِ، يَا قَوْمِ فَأَضِرُّوا بِالْفَانِي لِلْبَاقِي». أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه"(٣٤٥١٩)، والطبراني في "الكبير"(٨٥٦٦). بزيادة «وَقَالَ: إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ كَثِيرٌ عُلَمَاؤُهُ قَلِيلٌ خُطَبَاؤُهُ، وَكَثِيرٌ مُعْطُوهُ قَلِيلٌ سُؤَّالُهُ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا، وَإِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ زَمَانًا كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ قَلِيلٌ عُلَمَاؤُهُ، كَثِيرٌ سُؤَّالُهُ قَلِيلٌ مُعْطُوهُ». وسنده صحيح.

وقال الْفُضَيْلُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: «مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ أَضَرَّ بِالدُّنْيَا، وَمَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا أَضَرَّ بِالْآخِرَةِ، أَلَا فَأَضِرُّوا بِالدُّنْيَا، فَإِنَّهَا دَارُ فَنَاءٍ، وَاعْمَلُوا لِدَارِ الْبَقَاءِ». أخرجه إسحاق بن إبراهيم الختلي في "الديباج"(صـ: ٩٦)، ومن طريقه الخطيب في "الزهد والرقائق" برقم(٩٤). وسنده حسن.

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَثَلُ ضَرَّتَيْنِ إِنْ أَرْضَيْتَ إِحْدَاهُمَا أَسْخَطْتَ الْأُخْرَى. أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٤/ ٥١)، من طريق عبد الرزاق، وابن المبارك قالا: ثنا رَبَاحُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ حَوْرَانِ، قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ، فذكره. وعبد العزيز،

" كَانَ ضَعِيفًا، كَانَ يُشْبِهُ الْقُصَّاصَ. "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٥/ ٣٨٠).

وَقَالَ الشَّاعِرُ كما في "أدب الدنيا والدين" (صـ: ١١٠):

تَمَتَّعْ مِنْ الْأَيَّامِ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا ... فَإِنَّكَ مِنْهَا بَيْنَ نَاهٍ وَآمِرِ

إِذَا أَبْقَتْ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ دِينَهُ ... فَمَا فَاتَهُ مِنْهَا فَلَيْسَ بِضَائِرِ

فَلَنْ تَعْدِلَ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ... وَلَا وَزْنَ ذَرٍّ مِنْ جَنَاحٍ لِطَائِرِ

فَمَا رَضِيَ الدُّنْيَا ثَوَابًا لِمُؤْمِنٍ ... وَلَا رَضِيَ الدُّنْيَا جَزَاءً لِكَافِرِ

عَنْ أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ». رواه الحاكم (٧٨٩٥)، والبيهقي في "الشعب"(٩٨٥٢)، وأبو داود في "الزهد" (١٦٨)، وهو في "صحيح الجامع الصغير وزياداته"(٢٨٢٥).

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ فَآثِرُوا مَا يَبْقَى على ما يفنى». رواه أحمد (١٩٦٩٧)، و(١٩٦٩٨)، والحاكم (٧٨٥٣) و(٧٨٩٧)، والبيهقي في "الشعب" (٩٨٥٤) وفي "السنن الكبرى"(٦٥١٦)، وقد كان الشيخ الألباني ضعفه، ثم تراجع عن ذلك؛ لما وجد له من شاهد كما في "تراجعات الألباني" رقم.(٥٦).

وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: كنت خرجته في الكتاب الآخر (٥٦٥٠) لانقطاعه مع ثقة رجاله، ثم وقفت على هذا الشاهد العزيز القوي، فسارعت إلى تخريجه هنا، ثم أشرت إليه هناك؛ ليكون القراء على بصيرة وعلم بما يَجِدُّ من العِلمِ؛ فإنه في تَقدُّمٍ لا يقبلُ الجُمود، وبالله تعالى التوفيق. "الصحيحة"(٣٢٨٧).

وعن زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:

«مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ». رواه ابن ماجه (٤١٠٥)، والطبراني في "الكبير"(٤٨٩١)، والبيهقي في "الشعب"(٩٨٥٥)، وغيرهم وهو في "الصحيحة" للألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ – برقم (٩٥٠)، و "الصحيح المسند" للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –.

فمن انشغل بالدنيا وعلق قلبه بها فإنها تضر بآخرته وتقطعه عنها فوصل الدنيا قطيعة للآخرة.

## منزلة حكم البستي

وَأَرْعِ سَـــمْـعَـكَ أَمْـثَـالًا أُفَصِّـــلُـهَـا  كَـمَـا يُـفَـصَّـــلُ يَـاقُـوتٌ وَمَـرْجَـانُ

قوله: "وَأَرْعِ سَمْعَكَ أَمْثَالًا أُفَصِّلُهَا"

أي: اصغ بسمعك للأمثال التي سأفصلها وأبينها.

والإرعاء: الاصغاء.

وفي "معجم اللغة العربية المعاصرة" (٢/ ٩٠٩): أرعى فلانًا سمعَه: اهتمّ به فأصغى إليه واستمع لكلامه.

والمراد بالأمثال: الأبيات والحكم التي سيذكرها بعد هذا البيت

والياقوت والمرجان من الجواهر والأحجار الكريمة غالية الثمن لا سيما الياقوت وله ألوان عديدة.

قال الله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ الرحمن: ٥٨

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في تفسيره: وذلك لصفائهن وجمال منظرهن وبهائهن.

قال العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: في الحسن والصفاء كالياقوت والمرجان، وهما جوهران نفيسان، الياقوت في الصفاء، والمرجان في الحمرة، يعني أنهن مشربات بالحمرة مع صفاء تام. "تفسير العثيمين: الحجرات – الحديد" (صـ: ٣٢١).

جاء حديث عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُرَى بَيَاضُ سَاقِهَا مِنْ سَبْعِينَ حُلَّةَ حَرِيرٍ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ الرحمن: ٥٨ فَأَمَّا الْيَاقُوتُ فَإِنَّهُ حَجَرٌ لَوْ أَدْخَلْتَهُ سِلْكًا ثُمَّ اطَّلَعْتَ لَرَأَيْتَهُ مِنْ وَرَائِهِ). من طريق عطاء بن السائب وقد اختلط.

وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: ضعيف. ((التعليق الرغيب)) (٤/ ٢٦٣). كما في "التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان" برقم(٧٣٥٣).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وذكر الزجاج أن أهل التفسير وأهل اللغة قالوا: هُنَّ في صفاء الياقوت وبياض المَرْجان، والمَرْجان: صِغار اللؤلؤ، وهو أشدُّ بياضًا.

وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: «الياقوت» فارسيٌّ معرَّب، والجمع «اليواقيت»، وقد تكلَّمت به العربُ. "زاد المسير".

فهو قد بين هذه الأمثال والحكم وفصلها كما تفصل الجواهر من الياقوت والمرجان وشبه هذه الحكم بهذه الجواهر الثمينة؛ لأهميتها وعظم نفعها

## الإحسانُ إلى الناس

أَحْسِــنْ إِلَى النَّاسِ تَسْــتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ  فَطَالَمَا اسْــتَعْبَدَ الإِنْسَــانَ إِحْسَــانُ

لقد أمر الله بالإحسان في مواضع متفرقة فقال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة: ١٩٥ ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة: ٨٣

فالقول الحسن والفعل الحسن يذهب العداوة، والبغضاء ولذلك أمر الله به فقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ الإسراء: ٥٣

وقال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ المؤمنون: ٩٦

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت: ٣٤.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: عند هذه الآية: وَهُوَ الصَّدِيقُ، أَيْ: إِذَا أَحْسَنْتَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ قَادَتْهُ تِلْكَ الْحَسَنَةُ إِلَيْهِ إِلَى مُصَافَاتِكَ وَمَحَبَّتِكَ، وَالْحُنُوِّ عَلَيْكَ، حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ لَكَ حَمِيمٌ أَيْ: قَرِيبٌ إِلَيْكَ مِنَ الشَّفَقَةِ عَلَيْكَ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْكَ.

وقال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: أَي: صديق قريب، فالولي هُوَ الصّديق، وَالْحَمِيم هُوَ الْقَرِيب.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فَصِلْهُ، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك

خطابك، فَطيِّبْ له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة.

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت: ٣٤. أي: كأنه قريب شفيق.

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: والدفع بالتي هي أحسن قد يكون بالقول كما يكون بالفعل.

وَقَالَ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: {ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ} [المؤمنون: ٩٦]: «الصَّبْرُ عِنْدَ الغَضَبِ وَالعَفْوُ عِنْدَ الإِسَاءَةِ، فَإِذَا فَعَلُوهُ عَصَمَهُمُ اللَّهُ، وَخَضَعَ لَهُمْ عَدُوُّهُمْ» {كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: ٣٤].رواه البخاري معلقًا في تفسير سورة حم السجدة من صحيحة، وصححه الألباني في "المشكاة"(٥١١٧).

والمحسن محبوب إلى الله تعالى ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في تفسيره لهذه الآيات: وأما الإحسان إلى المخلوق، فهو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة لعامتهم وخاصتهم، والسعي في جمع كلمتهم، وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم، على اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم، فيدخل في ذلك بذل الندى وكف الأذى، واحتمال الأذى، كما وصف الله به المتقين في هذه الآيات، فمن قام بهذه الأمور، فقد قام بحق الله وحق عبيده.

وفسر حسن الخلق: ببذل الندى وكف الأذى، والصبر على الأذى وطلاقة الوجه.

والإحسان يكون بالقول، ويكون بالفعل بالكلام الحسن بالمال بالدعاء بالتعاون بحسن الرد حتى في السلام﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾ النساء: ٨٦.

والناس قد جبلوا على محبة الإحسان ومن أحسن إليهم المؤلفة يعطون من الزكاة فتكون سببا في إسلامهم أو دفع شر بعضهم ونحو ذلك.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: " مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ "مسلم (٢٣١٢).

وفي رواية له عَنْ أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: «أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَاللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ» فَقَالَ أَنَسٌ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا».

وعنده أيضا(٢٣١٣) عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: «غَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ الْفَتْحِ، فَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَنَصَرَ اللهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَعْطَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً»،

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: «وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ».

ولهذا كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أجود الناس بكل أنواع الجود.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ –: وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم، والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق من إطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم

ولم يزل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ ولهذا قالت له خديجة في أول مبعثه: والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة وتضاعفت أضعافا كثيرة. "لطائف المعارف"(صـ: ١٦٤).

فقوله: " تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ"، تستميلُ وتملك قلوبهم بالإحسان، والقلوب مجبولة على محبة من أحسن إليها.

## فائدة: أفعال لا فاعل لها

طالما ومثلها قلما لا فاعل لهما. "موصل الطلاب" لخالد الأزهري. (صـ: ١٥٥)

فَإِن قلت: أيْنَ فَاعل قَلما قلت: لَا فَاعل لَهُ فَإِن قلت: الْفِعْل لَا بُد لَهُ من فَاعل قلت: أَقُول بِمُوجبِه وَلَكِن فِي غير الْفِعْل المكفوف فَإِن قلت: هَل لذَلِك نَظِير قلت: نعم الْفِعْل الْمُؤَكّد كَقَوْلِه أَتَاك أَتَاك اللاحقون فاللاحقون فَاعل للْأولِ وَلَا فَاعل للثَّانِي. قَالَه الْمُصَنّف فِي التَّوْضِيح، وَلم تكف مَا من الْأَفْعَال عَن عمل الرّفْع إِلَّا ثَلَاثَة قل وَطَالَ وكثر...الخ.

قَالَ أَبُو عَلِيّ الْفَارِسِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: (طالما) و (قلما) وَنَحْوهمَا أَفعَال لَا فَاعل لَهَا مضمرا وَلَا مظْهرا لِأَن الْكَلَام لما كَانَ مَحْمُولا على النَّفْي سوغ ذَلِك أَن لَا يحْتَاج إِلَيْهِ، و (مَا) دخلت عوضا عَن الْفَاعِل. كما في " الكليات" (صـ: ٥٨٦).

ولو عبر بلفظ غير استعبد لكان أفضل لأن المعنى صار له كالعبد. وإنما المراد أنه يؤثر فيه الإحسان ويجلب المودة والألفة فيستميله ويستعطفه الإحسان ويذكر ذلك الإحسان وهناك صنف آخر وهو من طبعه اللؤم ونسيان الجميل فلا يعرف المعروف ولا يشكره ولا يؤثر فيه والله أعلم.

## خدمة الجسم

يَـا خَـادِمَ الجِسْمِ كَمْ تَشْـقَى بخدمته أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ فِيمَـا فِيـهِ خُسْـــرَانُ

كم تتعب بإصلاح ظاهرك وتجميله وتنعيم جسدك وبطنك، وإصلاح الباطن أولى؛ فإن الانشغال بالظاهر مع فساد الباطن خسارة وليس فيه ربح.

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ». رواه مسلم (٢٥٦٤).

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ –: فَقَدْ يَكُونُ كَثِيرٌ مِمَّنْ لَهُ صُورَةٌ حَسَنَةٌ، أَوْ مَالٌ، أَوْ جَاهٌ، أَوْ رِيَاسَةٌ فِي الدُّنْيَا قَلْبُهُ خَرَابًا مِنَ التَّقْوَى، وَيَكُونُ مَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ قَلْبُهُ مَمْلُوءًا مِنَ التَّقْوَى، فَيَكُونُ أَكْرَمَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، بَلْ ذَلِكَ هُوَ الْأَكْثَرُ وُقُوعًا، كَمَا فِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ: كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ». "جامع العلوم والحكم" ت الأرنؤوط (٢/ ٢٧٦).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ –: فَعلم أَن مُجَرّد الْجمال الظَّاهِر فِي الصُّور وَالثيَاب لَا ينظر الله إِلَيْهِ وَإِنَّمَا ينظر إِلَى الْقُلُوب والأعمال فَإِن كَانَ الظَّاهِر مزينا مُجملا بِحَال الْبَاطِن أحبه الله وَإِن كَانَ مقبحا مدنسا بقبح الْبَاطِن أبغضه الله فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يحب

الْحسن الْجَمِيل وَيبغض السَّيئ الْفَاحِش، وَأهل جمال الصُّورَة يبتلون بالفاحشة كثيرا. "الاستقامة" (١/ ٣٥٧).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: اعلم أن الجمال ينقسم قسمين: ظاهر، وباطن فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع محبته كما في الحديث الصحيح "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" وهذا الجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة وإن لم تكن ذات جمال فتكسوا صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتست روحه من تلك الصفات فإن المؤمن يعطى مهابة وحلاوة بحسب إيمانه فمن رآه هابه ومن خالطه أحبه وهذا أمر مشهود بالعيان فإنك ترى الرجل الصالح المحسن ذا الأخلاق الجميلة من أحلى الناس صورة وإن كان أسود أو غير جميل ولا سيما إذا رزق حظا من صلاة الليل فإنها تنور الوجه وتحسنه، وقد كان بعض النساء تكثر صلاة الليل فقيل لها في ذلك فقالت إنها تحسن الوجه وأنا أحب أن يحسن وجهي ومما يدل على أن الجمال الباطن أحسن من الظاهر أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه...

وكما أن الجمال الباطن من أعظم نعم الله تعالى على عبده فالجمال الظاهر نعمة منه أيضا على عبده يوجب شكرا فإن شكره بتقواه وصيانته ازداد جمالًا على جماله وإن

استعمل جماله في معاصيه سبحانه قَلَبَهُ لَهُ شيئا ظاهرا في الدنيا قبل الآخرة فتعود تلك المحاسن وحشة وقبحا وشينا وينفر عنه من رآه فكل من لم يتق الله عز وجل في حسنه وجماله انقلب قبحا وشينا يشينه به بين الناس فحسن الباطن يعلو قبح الظاهر ويستره وقبح الباطن يعلو جمال الظاهر ويستره. "روضة المحبين" (صـ:٢٢١ـ٢٢٢).

بل هذه الأعضاء تشهد عليك بين يدي الله تعالى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: « كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ». رواه مسلم(٢٩٦٩).

**فائدة:** قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ –: رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب؛ إلا أن يمزج بالرقائق، والنظر في سير السلف الصالحين. فأما مجرد العلم بالحلال والحرام، فليس له كبير عمل في رقة القلب؛ وإنما ترق القلوب بذكر رقائق الأحاديث، وأخبار السلف الصالحين...الخ. "صيد الخاطر"(صـ: ٢٢٨).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: فَخَادِمُ الْجِسْمِ الشَّقِيُّ بِخِدْمَتِهِ عَبَدَ الْمَاءَ وَالطِّينَ، كَمَا قِيلَ:

**يَـا خَـادِمَ الجِسْمِ كَمْ تَشْـقَى بخدمته أَتَطْلُـبُ الرِّبْحَ فِيمَـا فِيـهِ خُسْـــرَانُ**

وَالنَّاسُ فِي هَذَا الْمَقَامِ ثَلَاثَةٌ: عَبْدٌ مَحْضٌ. وَحُرٌّ مَحْضٌ، وَمُكَاتِبٌ قَدْ أَدَّى بَعْضَ كِتَابَتِهِ. وَهُوَ يَسْعَى فِي بَقِيَّةِ الْأَدَاءِ.

فَالْعَبْدُ الْمَحْضُ: عَبْدُ الْمَاءِ وَالطِّينِ الَّذِي قَدِ اسْتَعْبَدَتْهُ نَفْسُهُ وَشَهْوَتُهُ، وَمَلَكَتْهُ وَقَهَرَتْهُ. فَانْقَادَ لَهَا انْقِيَادَ الْعَبْدِ إِلَى سَيِّدِهِ الْحَاكِمِ عَلَيْهِ.

وَالْحُرُّ الْمَحْضُ: هُوَ الَّذِي قَهَرَ شَهْوَتَهُ وَنَفْسَهُ وَمَلَكَهَا. فَانْقَادَتْ مَعَهُ، وَذَلَّتْ لَهُ وَدَخَلَتْ تَحْتَ رِقِّهِ وَحُكْمِهِ.

وَالْمُكَاتِبُ: مَنْ قَدْ عُقِدَ لَهُ سَبَبُ الْحُرِّيَّةِ. وَهُوَ يَسْعَى فِي كَمَالِهَا. فَهُوَ عَبْدٌ مِنْ وَجْهٍ حُرٌّ مِنْ وَجْهٍ. وَبِالْبَقِيَّةِ الَّتِي بَقِيَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَدَاءِ يَكُونُ عَبْدًا مَا بَقِيَ عَلَيْهِ دِرْهَمٌ. فَهُوَ عَبْدٌ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ حَظٌّ مِنْ حُظُوظِ نَفْسِهِ. "مدارج السالكين"(٣/ ٧٤).

فَالْحُرُّ مَنْ تَخَلَّصَ مِنْ رِقِّ الْمَاءِ وَالطِّينِ. وَفَازَ بِعُبُودِيَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَاجْتَمَعَتْ لَهُ الْعُبُودِيَّةُ وَالْحُرِّيَّةُ. فَعُبُودِيَّتُهُ مِنْ كَمَالِ حُرِّيَّتِهِ، وَحُرِّيَّتُهُ مِنْ كَمَالِ عُبُودِيَّتِهِ.

فالعانية بصلاح القلب والاشتغال به أنفع وأفضل ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء: ٨٨ – ٨٩.

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ». رواه البخاري(٥٢)، ومسلم(١٥٩٩).

ولو فكر الإنسان في عاقبته وعاقبة هذه الحياة لأقبل على الله وعبادته وانشغل بذلك

وكما قيل:

أَمَـا وَاللهِ لَـوْ عَـلِـمَ الأَنَـامُ ... لِمَا خُـلِـقُـوا لَمَا هَجَعُوا وَنَامُوا
لَـقَـدْ خُـلِـقُـوا لِأَمْـرٍ لَـوْ رَأَتْـهُ ... عُـيُونُ قُـلُـوبِهِمْ تَـاهُـوا وَهَـامُـوا
مَـمَـاتٌ ثُـمَّ قَـبْرٌ ثُـمَّ حَشْـــرٌ ... وَتَـوْبِـيـخٌ وَأَهْـوَالٌ عِـظَـامُ
لِيَوْمِ الحَشْـــرِ قَدْ عَمِلَتْ رِجَالٌ ... فَصَـلَّوا مِنْ مَخَـافَتِـهِ وَصَـامُوا
وَنَـحْـنُ إِذَا أُمِـرْنَـا أَوْ نُـهِـيـنَـا ... كَـأَهْـلِ الـكَـهْـفِ أَيْـقَـاظٌ نِـيَـامُ

ذكرت هذه الأبيات في "المدهش" لابن الجوزي (صـ: ١٢٢)، و "الكبائر" للذهبي (صـ: ١٣٣)، و"مجموع رسائل ابن رجب" (٤/ ٤٤١).

## فضائل النفس

**أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْـتَكْمِلْ فَضَـائِلَهَا فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لاَ بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ**

أقبل على صلاح قلبك وجوارحك وأكمل فضائل نفسك فصلاح الظاهر بصلاح الباطن.

قَالَ ابنُ رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: فإذا صلح القلب صلحت إرادته وصلحت جميع الجوارح فلم تنبعث إلى طاعة الله واجتناب سخطه فقنعت بالحلال عن الحرام. وإذا فسد القلب فسدت إرادته، ففسدت الجوارح كلها وانبعث في معاصي الله عز وجل وما فيه سخطه ولم تقنع بالحلال؛ بل أسرعت في الحرام بحسب هوى القلب وميله عن الحق،

فالقلب الصالح: هو القلب السليم الذي لا ينفع يوم القيامة عند الله غيره، وهو أن يكون سليما عن جميع ما يكرهه الله من إرادة ما يكرهه الله ويسخطه ولا يكون فيه سوى محبة الله وإرادته ومحبته ما يحبه الله وإرادة ذلك وكراهة ما يكرهه الله والنفور عنه.

والقلب الفاسد: هو القلب الذي فيه الميل على الأهواء المضلة والشهوات المحرمة، وليس فيه من خشية الله ما يكف الجوارح عن اتباع هوى النفس؛

فالقلب ملك الجوارح وسلطانها، والجوارح جنوده ورعيته المطيعة له المنقادة لأمره، فإذا صلح الملك صلحت رعاياه وجنوده المطيعة له المنقادة لأوامره، وإذا فسد الملك فسدت جنوده ورعاياه المطيعة له المنقادة لأوامره ونواهيه. "فتح الباري" لابن رجب (١/ ٢٢٩).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وأصل صَلَاح الْقلب هُوَ حَيَاته واستنارته،

قَالَ تَعَالَى ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾الأنعام: ١٢٢

لذَلِك ذكر الله حَيَاة الْقُلُوب ونورها وموتها وظلمتها فِي غير مَوضِع كَقَوْلِه:﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ يس: ٧٠

وَقوله تَعَالَى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾الأنفال: ٢٤

ثمَّ قَالَ:﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال: ٢٤

"أمراض القلوب وشفاؤها" (صـ: ٨).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَأصل صَلَاح الْقلب صَلَاحُ إرادته وَنِيَّته فَإِن لم يصلح ذَلِك لم يصلح الْقلب. "الاستقامة" (٢/ ٣٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: والمقصودُ أنَّ صلاحَ القلبِ بمحاسبةِ النفس، وفساده بإهمالها والاسترسال معها. "إغاثة اللهفان"(١/ ٨٤).

وعند ذكر حديث النعمان المتقدم، قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ –رَحِمَهُ اللَّهُ –: فَأَخْبَرَ أَنَّ صَلَاحَ الْقَلْبِ مُسْتَلْزِمٌ لِصَلَاحِ سَائِرِ الْجَسَدِ، وَفَسَادَهُ مُسْتَلْزِمٌ لِفَسَادِهِ، فَإِذَا رَأَى ظَاهِرَ الْجَسَدِ فَاسِدًا غَيْرَ صَالِحٍ عَلِمَ أَنَّ الْقَلْبَ لَيْسَ بِصَالِحٍ بَلْ فَاسِدٌ، وَيَمْتَنِعُ فَسَادُ الظَّاهِرِ مَعَ صَلَاحِ الْبَاطِنِ كَمَا يَمْتَنِعُ صَلَاحُ الظَّاهِرِ مَعَ فَسَادِ الْبَاطِنِ إذْ كَانَ صَلَاحُ الظَّاهِرِ وَفَسَادُهُ مُلَازِمًا لِصَلَاحِ الْبَاطِنِ وَفَسَادِهِ. كما في " الآداب الشرعية" (١/ ١٣٦).

فتهذيب النفس والروح من أهم ما يكون ومن أشرف المطالب العالية فالإنسان قيمته بصلاحه وصلاح قلبه وأخلاقه وحسن صفاته لا بمجرد الجسم وضخامته وحسن شكله مع ما جاء عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»

قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ». رواه مسلم(٩١).

ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما ضره دقة ساقيه فهما أثقل من أحد في الميزان؛ لصلاح قلبه ونفسه؛ فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ » قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ». رواه أحمد(٣٩٩١)، وغيره، وهو في "الصحيحة"(٢٧٥٠) و(٣١٩٢).

والكافر كأبي لهب ما ينفعه ضخامة جسمه يوم القيامة وعظمه، عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ الكهف: ١٠٥. رواه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

فما ينفع العناية بالجسم والروح فيها خلل وبعد عن صلاحها واستقامتها.

وانظر إلى قول ابنِ المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ – في صاحب البدعة

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ –: (صَاحِبُ الْبِدْعَةِ عَلَى وَجْهِهِ غُبَارٌ وَإِنِ ادَّهَّنَ فِي الْيَوْمِ ثَلَاثِينَ مَرَّةً). أخرجه الهروي في "ذم الكلام وأهله" (١٠١٦).

## الصفح عن المسيء

وَإِنْ أَسَـــاءَ مُســـيءٌ فَلْيَكُنْ لَـكَ فِي عُـرُوضِ زَلَّـتِـهِ صَـــفْـحٌ وَغُـفْـرَانُ

أي: قابل من أساء إليك بالصفح والعفو لا بالمثل قال الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٩

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا»، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ»، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٩. وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، «وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ». رواه البخاري (٤٦٤٢) و (٧٢٨٦).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في تفسيره: هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على

الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم.

وقد أرشد الله إلى هذا الخلق الجميل في عدة مواضع فقال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الشورى: ٤٠

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ الشورى: ٤٣

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وأخبر أن الصبر والمغفرة من العزائم التي تجارة أربابها لا تبور. "عدة الصابرين "(صـ: ١٣).

وقال الله تعالى: ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ النور: ٢٢

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ ﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ عَلَى الْمُسِيءِ الْمُسْلِمِ مِنْ مُوجِبَاتِ غُفْرَانِ الذُّنُوبِ، وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ. "أضواء البيان"(٥/ ٤٨٨).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ آل عمران [١٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ النحل: ١٢٦

قوله "عُرُوضِ زَلَّتِهِ صَفْحٌ وَغُفْرَانٌ" أي: ليكن منك عند زلته العارضة الصفح والستر.

هذه الطريقة في معاملة صاحب الزلة العارضة وهي طريقة الصفح.

## الفرق بين العفو والصفح

قال أبوهلال العسكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: هما بمعنى في اللغة.

وقال الراغب رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: الصفح: ترك التثريب، وهو أبلغ من العفو وقد يعفو الانسان ولا يصفح. وقال البيضاوي: العفو ترك عقوبة المذنب، والصفح: ترك لومه. قلت: ويدل عليه قوله تعالى:﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ ﴾ البقرة: ١٠٩.

ترقيا في الامر بمكارم الاخلاق من الحسن إلى الاحسن، ومن الفضل إلى الأفضل. "معجم الفروق اللغوية"(صـ: ٣٦٢). والغفران: هو الستر.

قال ابنُ حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: أغنى الناس عَن الحقد من عظم عَن المجازاة وأجل الناس مرتبة من صد الجهل بالحلم وما الفضل إلا لمن يحسن إلى من أساء إليه فأما مجازاة الإحسان إحسانا فهو المساواة في الأخلاق فلربما استعملها البهائم في الأوقات ولو لم يكن في الصفح وترك الإساءة خصلة تحمد إلا راحة النفس ووداع القلب لكان الواجب على العاقل أن لا يكدر وقته بالدخول في أخلاق البهائم بالمجازاة على الإساءة إساءة ومن جازى بالإساءة إساءة فهو المسيء وإن لم يكن بادئا...سمعت مُحَمَّد بْن عثمان العقبي قَالَ سمعت هلال بْن العلاء الباهلي يقول جعلت على نفسي منذ أكثر من عشرين سنة أن لا أكافيء أحدا بسوء وذهبت إلى هذه الأبيات ...

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ ... أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ غَمِّ الْعَدَاوَاتِ
إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ... لِأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ
وَأُظْهِرُ الْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضُهُ ... كَأَنَّمَا قَدْ حَشَى قَلْبِي مَحَبَّاتِ

"روضة العقلاء ونزهة الفضلاء" (صـ: ١٦٩).

وَقَالَ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ – كما في "أدب الدنيا والدين" (صـ: ١٨٢):

الْـقَ الْـعَـدُوَّ بِـوَجْـهٍ لَا قُـطُـوبَ بِـهِ ... يَكَادُ يَقْطُرُ مِنْ مَاءِ الْبَشَـاشَـاتِ

فَـأَحْزَمُ النَّـاسِ مَنْ يَلْقَى أَعَـادِيَـهِ ... فِي جِسْـمِ حِقْـدٍ وَثَوْبٍ مِنْ مَوَدَّاتِ

الرِّفْقُ يُمْنٌ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْـدَقُـهُ ... وَكَـثْـرَةُ الْمَـزْحِ مِـفْـتَـاحُ الْـعَـدَاوَاتِ

وتعزى أبيات (لما عفوتُ) للشافعي كما في "أدب الدنيا والدين" من نفس الصفحة

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: والصبر أخلاق النبيين والصالحين، فيجب امتثال طريقتهم والتأسي بهم وقرع النفس عن المغالبة رجاء ثواب الله على ذلك..."شرح البخاري" (٩/ ٢٢٦).

وهذا هو الخلق هو صفة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: « أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ الأحزاب: ٤٥، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا». رواه البخاري(٢١٢٥) وفي رواية له (وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ) (٤٨٣٨).

## إعانة من يأمل الخير منك

**وَكُنْ عَلَى الـدَّهْرِ مِعْوَانًـا لِـذِي أَمَـلٍ يَـرْجُـو نَـدَاكَ فَـإِنَّ الـحُـرَّ مِـعْـوَانُ**

على الدهر على شدائد الدهر وكروبه ومعوانًا المعوان المبالغة من المعونة

"**مِعْوَانًا لِذِي أَمَلٍ**"، قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: الأملُ: الرجاء، يقال: أملتهُ فهو مأمول. "مجمل اللغة"(صـ: ١٠٣)، فهو يأمل منك العطاء والمعونة.

"**مِعْوَانًا" أي:** كثير العون، و "**نَدَاكَ**" أي: عطاءك وكرمك، والحر ضد العبد.

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ». رواه مسلم(٢٦٩٩).

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ». البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في شرحه للحديث: فِي هَذَا فَضْلُ إِعَانَةِ الْمُسْلِمِ وَتَفْرِيجِ الْكُرَبِ عَنْهُ وَسَتْرِ زَلَّاتِهِ وَيَدْخُلُ فِي كَشْفِ الْكُرْبَةِ وتفريجها من أزالها بماله أو جاهه أو مساعدته والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته وَرَأْيِهِ وَدَلَالَتِهِ.

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَالْكُرْبَةُ: هِيَ الشِّدَّةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تُوقِعُ صَاحِبَهَا فِي الْكَرْبِ، وَتَنْفِيسُهَا أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُ مِنْهَا، مَأْخُوذٌ مِنْ تَنْفِيسِ الْخِنَاقِ، كَأَنَّهُ يُرْخَى لَهُ الْخِنَاقُ حَتَّى يَأْخُذَ نَفْسًا، وَالتَّفْرِيجُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنْ يُزِيلَ عَنْهُ الْكُرْبَةَ، فَتُفْرَجُ عَنْهُ كُرْبَتُهُ، وَيَزُولُ هَمُّهُ وَغَمُّهُ، فَجَزَاءُ التَّنْفِيسِ التَّنْفِيسُ، وَجَزَاءُ التَّفْرِيجِ التَّفْرِيجُ، كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، وَقَدْ جُمِعَ بَيْنَهُمَا فِي حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ. "جامع العلوم والحكم" ت الأرنؤوط (٢/ ٢٨٦).

والحديث الذي أشار إليه هو عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كربةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُؤْمِنٍ عَوْرَتَهُ سَتَرَ اللهُ عَلَيْهِ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً». رواه الطبراني في "الكبير"(٣٥٠)، و"الصغير"(٥٦٤٩)، من طريق شُعَيْبٌ الْأَنْمَاطِيُّ، عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ.

قَالَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما قال لها: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ). رواه البخاري(٣)، ومسلم(١٦٠).

وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قِبَلَ الحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، وَهُوَ سَيِّدُ القَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ، فَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: إِنَّ مِثْلَكَ لاَ يَخْرُجُ وَلاَ يُخْرَجُ، فَإِنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، وَأَنَا لَكَ جَارٌ، فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلاَدِكَ، فَارْتَحَلَ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَرَجَعَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، فَطَافَ فِي أَشْرَافِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلاَ يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يُكْسِبُ المَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ. الحديث رواه البخاري (٣٩٠٥).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ –: يَدْخُلُ فِي حَمْلِ الْكَلِّ الْإِنْفَاقُ عَلَى الضَّعِيفِ وَالْيَتِيمِ وَالْعِيَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَهُوَ مِنَ الْكَلَالِ وَهُوَ الْإِعْيَاءُ...

وَأَمَّا مَعْنَى تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ فَمَنْ رَوَاهُ بِالضَّمِّ فَمَعْنَاهُ: تُكْسِبُ غَيْرَكَ الْمَالَ الْمَعْدُومَ أَيْ: تُعْطِيهِ إِيَّاهُ تَبَرُّعًا فَحَذَفَ أحد المفعولين، وقيل: معناه تعطى الناس ما لا يجدونه عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ نَفَائِسِ الْفَوَائِدِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ،

وَأَمَّا رِوَايَةُ الْفَتْحِ فَقِيلَ: مَعْنَاهَا كَمَعْنَى الضَّمِّ، وَقِيلَ: مَعْنَاهَا تَكْسِبُ الْمَالَ الْمَعْدُومَ وَتُصِيبُ مِنْهُ مَا يَعْجِزُ غَيْرُكَ عَنْ تَحْصِيلِهِ وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَتَمَادَحُ بِكَسْبِ الْمَالِ الْمَعْدُومِ لَا سِيَّمَا قُرَيْشٌ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَحْظُوظًا فِي تِجَارَتِهِ، وَهَذَا الْقَوْلُ حَكَاهُ الْقَاضِي عَنْ ثَابِتٍ صَاحِبِ الدَّلَائِلِ وَهُوَ ضَعِيفٌ أَوْ غَلَطٌ وَأَيُّ مَعْنًى لِهَذَا الْقَوْلِ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَنَّهُ يُمْكِنُ تَصْحِيحُهُ بِأَنْ يُضَمَّ إِلَيْهِ زِيَادَةٌ فَيَكُونُ مَعْنَاهُ تَكْسِبُ الْمَالَ الْعَظِيمَ الَّذِي يَعْجِزُ عَنْهُ غَيْرُكَ ثُمَّ تَجُودُ بِهِ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ وَأَبْوَابِ الْمَكَارِمِ. "شرح مسلم". والنوائب: الحوادث.

ويقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ المائدة: ٢.

فالتعاون لا سيما عند حدوث النوائب من خصال الكرماء الأتقياء.

## الإعتصام بحبل الله

**وَاشْـــدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللهِ مُعْتَصِـــمًا  فَـإِنَّـهُ الـرُّكْـنُ إِنْ خَـانَـتْـكَ أَرْكَـانُ**

"الشد": العقد. "بحبل الله": بدين الله بكتابه وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ

وقد أمر الله بالاعتصام به وبحبله في مواضع من كتابه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ آل عمران: ١٠٣

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في تفسيره: فَأَوْجَبَ تَعَالَى عَلَيْنَا التَّمَسُّكَ بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَالرُّجُوعَ إِلَيْهِمَا عِنْدَ الِاخْتِلَافِ، وَأَمَرَنَا بِالِاجْتِمَاعِ عَلَى الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ اعْتِقَادًا وَعَمَلًا، وَذَلِكَ سَبَبُ اتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ وَانْتِظَامِ الشَّتَاتِ الَّذِي يَتِمُّ بِهِ مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَالسَّلَامَةُ مِنَ الِاخْتِلَافِ، وَأَمَرَ بِالِاجْتِمَاعِ وَنَهَى عَنِ الِافْتِرَاقِ الَّذِي حَصَلَ لِأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ.

هَذَا مَعْنَى الْآيَةِ عَلَى التَّمَامِ، وَفِيهَا دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ الْإِجْمَاعِ حَسْبَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ أُصُولِ الْفِقْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ١٤٥ – ١٤٦

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ –رحمه الله في تفسيره للآية: الِاعْتِصَام: هُوَ الِامْتِنَاع بالشَّيْء مِمَّا يخَاف، فالاعتصام بِاللَّه: هُوَ الِامْتِنَاع بِطَاعَتِهِ من كل مَا يخَاف عَاجلا، وآجلا.

قالَ أَبُو عُبَيْدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: الاعتصامُ بِحَبل الله هُوَ تَرْكُ الفُرْقَةِ واتّبَاعُ القرآنِ، وإيَّاه أَرَادَ عبدُ الله بنُ مسعودٍ بقوله: عَلَيْكُم بحبْل الله فإِنَّه كتاب الله. "تهذيب اللغة" (٥/ ٥١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ النساء: ١٧٤ – ١٧٥

﴿ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ الحج: ٧٨.

جاء عَن الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –، قَالَ: كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: «الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَعْشُ الْعِلْمِ ثَبَاتُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَذَهَابُ الْعِلْمِ ذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ». أخرجه الدينوري "المجالسة" (٣٦١)، و"الإبانة الكبرى" لابن بطة(١٥٩)، (١٦٠)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٣٦٩)، والبيهقي في "المدخل"(٨٦٠)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"(١٥)، (١٣٦)، (١٣٧).

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ

تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ». رواه مسلم(١٧١٥).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -في شرحه للحديث: وَأَمَّا الِاعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللَّهِ فَهُوَ التَّمَسُّكُ بِعَهْدِهِ وَهُوَ اتِّبَاعُ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَحُدُودِهِ وَالتَّأَدُّبِ بِأَدَبِهِ وَالْحَبْلُ يُطْلَقُ عَلَى الْعَهْدِ وَعَلَى الْأَمَانِ وَعَلَى الْوَصْلَةِ وَعَلَى السَّبَبِ وَأَصْلُهُ مِنَ اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ الْحَبْلَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ لِاسْتِمْسَاكِهِمْ بِالْحَبْلِ عِنْدَ شَدَائِدِ أُمُورِهِمْ وَيُوصِلُونَ بِهَا الْمُتَفَرِّقَ فَاسْتُعِيرَ اسْمُ الْحَبْلِ لِهَذِهِ الْأُمُورِ. "شرح مسلم"

وعنده أيضًا عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ). وفيه رواية ( أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ). رواه مسلم(٢٤٠٨).

قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: « إِنَّ هَذَا الصِّرَاطَ مُحْتَضَرٌ يَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ يُنَادُونَ يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا الطَّرِيقُ فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ فَإِنَّ حَبْلَ اللهِ الْقُرْآنُ». أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان (١٨٦٧).

وفي "الشريعة" للآجري(١٦) بلفظ: « إِنَّ هَذَا الصِّرَاطَ مُحْتَضَرٌ يَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ يُنَادُونَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَلُمَّ هَذَا الصِّرَاطَ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ فَإِنَّ حَبْلَ اللَّهِ هُوَ كِتَابُ اللَّهِ ». وسنده صحيح.

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: لا عصمة لأحد إلا في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أو في إجماع العلماء على معنى في أحدهما. "شرح صحيح البخاري"(١٠/ ٣٢٨).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَالِاعْتِصَامُ افْتِعَالٌ مِنَ الْعِصْمَةِ، وَهُوَ التَّمَسُّكُ بِمَا يَعْصِمُكَ، وَيَمْنَعُكَ مِنَ الْمَحْذُورِ وَالْمَخُوفِ، فَالْعِصْمَةُ: الْحِمْيَةُ، وَالِاعْتِصَامُ: الِاحْتِمَاءُ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْقِلَاعُ: الْعَوَاصِمَ، لِمَنْعِهَا وَحِمَايَتِهَا.

وَمَدَارُ السَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ عَلَى الِاعْتِصَامِ بِاللَّهِ، وَالِاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَلَا نَجَاةَ إِلَّا لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهَاتَيْنِ الْعِصْمَتَيْنِ.

فَأَمَّا الِاعْتِصَامُ بِحَبْلِهِ فَإِنَّهُ يَعْصِمُ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَالِاعْتِصَامُ بِهِ يَعْصِمُ مِنَ الْهَلَكَةِ، فَإِنَّ السَّائِرَ إِلَى اللَّهِ كَالسَّائِرِ عَلَى طَرِيقٍ نَحْوَ مَقْصِدِهِ، فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى هِدَايَةِ الطَّرِيقِ، وَالسَّلَامَةِ فِيهَا، فَلَا يَصِلُ إِلَى مَقْصِدِهِ إِلَّا بَعْدَ حُصُولِ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ لَهُ، فَالدَّلِيلُ كَفِيلٌ بِعِصْمَتِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْ يَهْدِيَهُ إِلَى الطَّرِيقِ، وَالْعُدَّةِ وَالْقُوَّةِ وَالسِّلَاحِ الَّتِي بِهَا تَحْصُلُ لَهُ السَّلَامَةُ مِنْ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ وَآفَاتِهَا.

فَالِاعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللَّهِ يُوجِبُ لَهُ الْهِدَايَةَ وَاتِّبَاعَ الدَّلِيلِ، وَالِاعْتِصَامُ بِاللَّهِ، يُوجِبُ لَهُ الْقُوَّةَ وَالْعُدَّةَ وَالسِّلَاحَ، وَالْمَادَّةَ الَّتِي يَسْتَلْئِمُ بِهَا فِي طَرِيقِهِ، وَلِهَذَا اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ السَّلَفِ فِي الِاعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللَّهِ، بَعْدَ إِشَارَتِهِمْ كُلِّهِمْ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى.... فَالِاعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللَّهِ يَحْمِي مِنَ الْبِدْعَةِ وَآفَاتِ الْعَمَلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. "مدارج السالكين" (١/٤٥٧-٤٥٩).

"فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ"

قال في "تاج العروس" (٣٥/ ١٠٩): (و) الرُّكْنُ: (الأَمْرُ العظيمُ) ... (و) الرُّكْنُ: (العِزُّ والمَنَعَةُ) ...وَهُوَ رُكْنٌ مِن أَرْكانِ قوْمِه: شرِيفٌ مِن أشْرافِهم.

وقيلَ: رُكْنُ الإِنْسانِ: قُوَّتُه وشدَّتُه؛ وكذلِكَ رُكْنُ الجَبَلِ والقَصرِ، وَهُوَ جانِبُه.

ورُكْنُ الرَّجلِ: قوْمُه وعَدَدُه ومادَّتُه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: وأَرْكانُ الإِنْسانِ: جَوارحُه. وأَرْكانُ كلِّ شيءٍ جَوانِبُه الَّتِي يَسْتنِدُ إِلَيْهَا ويقومُ بهَا. "تاج العروس" (٣٥/ ١١١).

فهو الركن القوي المتين والملاذ والمرجع الذي لا يضعف من تمسك به واعتصم.

قال أَبو بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنِّي احْتَسَبْتُ عِنْدَ اللَّهِ أَنِّي أَصْبَحْتُ سَاخِطًا عَلَى أَحْيَاءِ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ العَرَبِ، كُنْتُمْ عَلَى الحَالِ الَّذِي عَلِمْتُمْ مِنَ الذِّلَّةِ وَالقِلَّةِ وَالضَّلَالَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ أَنْقَذَكُمْ بِالإِسْلاَمِ وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى بَلَغَ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ وَهَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَفْسَدَتْ بَيْنَكُمْ، إِنَّ ذَاكَ الَّذِي بِالشَّأْمِ، وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُونَ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنْ ذَاكَ الَّذِي بِمَكَّةَ وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا». رواه البخاري(٧١١٢)،

وفي رواية له قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُغْنِيكُمْ - أَوْ نَعَشَكُمْ - بِالإِسْلاَمِ وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «وَقَعَ هَاهُنَا يُغْنِيكُمْ، وَإِنَّمَا هُوَ نَعَشَكُمْ يُنْظَرُ فِي أَصْلِ كِتَابِ الِاعْتِصَامِ». (٧٢٧١).

ففي الاعتصام بالله وكتابه الأمان والهداية والسلامة من الضلالة.

عن أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ، الغَدَ حِينَ بَايَعَ المُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ، وَاسْتَوَى عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، تَشَهَّدَ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَاخْتَارَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الَّذِي عِنْدَهُ عَلَى الَّذِي عِنْدَكُمْ، وَهَذَا الكِتَابُ الَّذِي هَدَى اللَّهُ بِهِ رَسُولَكُمْ، فَخُذُوا بِهِ تَهْتَدُوا وَإِنَّمَا هَدَى اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ». رواه البخاري (٧٢٦٩).

وجاء عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: وَقَدْ تَرَكْتُ (فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ). رواه مسلم(١٢١٨).

وفي رواية في حديث زيد بن أرقم المتقدم «كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ، وَأَخَذَ بِهِ، كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ، ضَلَّ». رواه مسلم(٢٤٠٨).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ آل عمران: ١٠١

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ – في تفسيره: وَمَعَ هَذَا فَالِاعْتِصَامُ بِاللَّهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ هُوَ العُمْدة فِي الْهِدَايَةِ، والعُدَّة فِي مُبَاعَدَةِ الغواية، وَالْوَسِيلَةُ إِلَى الرَّشَادِ، وَطَرِيقِ السَّدَادِ، وَحُصُولِ الْمُرَادِ.

## تقوى الله عاقبته حميدة

مَنْ يَتَّقِ اللهَ يُحْمَدْ فِي عَوَاقِبِهِ وَيَكْفِهِ شَرَّ مَنْ عَزُّوا وَمَنْ هَانُوا

التقوى عواقبه محمودة دوما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الأعراف: ١٢٨

وانظر كيف آل أمرهم مكنهم الله وأعزهم ونصرهم وأورثهم الأرض بتقواهم وصبرهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ الأعراف: ١٣٧

وهكذا أخبر الله ما جرى للرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة وذكر ما آل إليه أمرهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ الأحزاب: ٢٧

فالعاقبة الحميدة لأهل التقوى والاستقامة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ طه: ١٣٢

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ القصص: ٨٣.

وخلاصة التقوى: امتثال الأوامر واجتناب النواهي وجاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ فِي قَولِهِ تَعَالى: (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ): أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ مَوْقُوفٌ، وَقَدْ تَابَعَ مُرَّةَ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ. ذكره مسندا عند ابن أبي حاتم، ثم ذكره مرفوعا عند ابن مردويه، والحاكم، وقال: وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في "الضعيفة"(٦٩٠٩): منكر مرفوعًا... وكذلك رواه موقوفًا عن مسعر جماعة آخرون؛ مثل: ابن جرير في " التفسير " (٤/ ١٩)، والحاكم (٢/ ٢٩٤)، وقال: " صحيح على شرط الشيخين ". ووافقه الذهبي. وهو كما قالا... قلت: ما استظهره هو الصواب يقينًا. لكن قوله في رواية الحاكم: " مرفوعاً " وهم مخالف لما في مطبوعة " المستدرك " -كما تقدم -؛ فلا أدري الوهم من ابن كثير؟ أم كذلك وقع في نسخته من " المستدرك "! والله أعلم.

وذكر الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في هذا الموضع أنه جاء عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا عند البيهقي في "الزهد" (٣٢٨/ ٨٧٨)، وقال: وهذا إسناد واه بكر بن سهل: قال النسائي: "ضعيف ". وعبد الغني بن سعيد -وهو: الثقفي -: قال الذهبي في " الميزان ":"ضعفه ابن يونس ".

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَأَصْلُ التَّقْوَى أَنْ يَجْعَلَ الْعَبْدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَخَافُهُ وَيَحْذَرُهُ وِقَايَةً تَقِيهِ مِنْهُ، فَتَقْوَى الْعَبْدِ لِرَبِّهِ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَخْشَاهُ مِنْ رَبِّهِ مِنْ غَضَبِهِ وَسُخْطِهِ وَعِقَابِهِ وِقَايَةً تَقِيهِ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ فِعْلُ طَاعَتِهِ وَاجْتِنَابُ مَعَاصِيهِ....

وَيَدْخُلُ فِي التَّقْوَى الْكَامِلَةِ فَعْلُ الْوَاجِبَاتِ، وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ وَالشُّبُهَاتِ، وَرُبَّمَا دَخَلَ فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِعْلُ الْمَنْدُوبَاتِ، وَتَرْكُ الْمَكْرُوهَاتِ، وَهِيَ أَعْلَى دَرَجَاتِ التَّقْوَى...

وَقَالَ الْحَسَنُ: الْمُتَّقُونَ اتَّقَوْا مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَأَدَّوْا مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: لَيْسَ تَقْوَى اللَّهِ بِصِيَامِ النَّهَارِ، وَلَا بِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَالتَّخْلِيطِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَرْكُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَأَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ، فَمَنْ رُزِقَ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرًا، فَهُوَ خَيْرٌ إِلَى خَيْرٍ.

وَقَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ: التَّقْوَى أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ تَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ، وَأَنْ تَتْرُكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ تَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ...

وَقَالَ الْحَسَنُ: مَا زَالَتِ التَّقْوَى بِالْمُتَّقِينَ حَتَّى تَرَكُوا كَثِيرًا مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةَ الْحَرَامِ....

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: الْمُتَّقِي أَشَدُّ مُحَاسَبَةً لِنَفْسِهِ مِنَ الشَّرِيكِ الشَّحِيحِ لِشَرِيكِهِ.

وذكر آثاراً طيبة وكلاماً كثيراً في هذا الموضع "جامع العلوم والحكم" ت الأرنؤوط (١/ ٣٩٨وما بعدها).

ورُوي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: " هِيَ الخَوْفُ مِنَ الجَلِيل، وَالعَمَلُ بِالتَّنْزِيل، وَالرِّضَا بِالقَلِيل، وَالاَسْتِعْدَادُ لِيَوْمِ الرَّحِيل ".

فالتقوى وصية الله للأولين والأخرين. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ النساء: ١٣١

والمتقي يفرج الله عنه الكروب ويجعل له المخارج من الفتن والمدلهمات وينور له الطريق. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ الأعراف: ٢٠١ و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ الطلاق: ٢ – ٣.

"وَيَكْفِهِ شَرَّ مَنْ عَزُّوا وَمَنْ هَانُوا"

أي: يصرف عنه شر الأشرار كانوا أقوياء، أو ضعفاء فالله تعالى هو ولي المتقي المؤمن، وهو الذي يتولى الدفاع عنه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ محمد: ١١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الأعراف: ١٩٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ الحج: ٣٨.

الولي: هو المؤمن التقي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ يونس: ٦٢ – ٦٣

قال شيخ الإسلام: فَكُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ فَهُوَ وَلِيٌّ لِلَّهِ، وَاللَّهُ وَلِيُّهُ. "منهاج السنة" (٧/ ٢٨).

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ». رواه البخاري (٦٥٠٢).

## الإستعانة بغيره الله خذلان

مَنِ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللهِ فِي طَلَبٍ فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخِذْلاَنُ

من طلب العون من غير الله وتعلق به فإن ذلك المطلوب عاجز عن نصرته وسيخذله وهذا من الخذلان طلب العون من غير الله وقد يصل إلى الشرك إذا كان فيما لا يقدر عليه إلا الله واعتقد فيه نفعا أو ضرا فهذا من الشرك بالله تعالى وقد بين هذا أهل العلم في كتب التوحيد ونحوها بيانا شافيا كافيا

والعجز: الضعف، وعدم القدرة على الشيء.

والخِذلان: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وأما الخذلان فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦ﴾آل عمران: ١٦٠

وأصل الخذلان الترك والتخلية ويقال للبقرة والشاة إذا تخلفت مع ولدها في المرعى وتركت صواحباتها خذول.

قال محمد بن إسحاق في هذه الآية: "إن ينصرك الله فلا غالب لك من الناس ولن يضرك خذلان من خذلك وإن يخذلك فلن ينصرك الناس أي لا تترك أمري للناس وارفض الناس لأمري" والخذلان أن يخلي الله تعالى بين العبد وبين نفسه ويكله إليها والتوفيق ضده أن لا يدعه ونفسه ولا يكله إليها بل يصنع له ويلطف به ويعينه ويدفع عنه ويكلأه كلاءة الوالد الشفيق للولد العاجز عن نفسه فمن خلى بينه وبين نفسه هلك كل الهلاك. "شفاء العليل"(صـ: ١٠٠).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: فَمَا خَلَّى اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الذَّنْبِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ خَذَلَكَ، وَخَلَّى بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ، وَلَوْ عَصَمَكَ وَوَفَّقَكَ لَمَا وَجَدَ الذَّنْبُ إِلَيْكَ سَبِيلًا.

فَقَدْ أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ عَلَى أَنَّ الْخِذْلَانَ: أَنْ يَكِلَكَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِكَ، وَيُخَلِّيَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا، وَالتَّوْفِيقَ: أَنْ لَا يَكِلَكَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِكَ. "مدارج السالكين" (١/ ١٩٨).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: فَالْعَبِيدُ مُتَقَلِّبُونَ بَيْنَ تَوْفِيقِهِ وَخِذْلَانِهِ، بَلِ الْعَبْدُ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ يَنَالُ نَصِيبَهُ مِنْ هَذَا وَهَذَا، فَيُطِيعُهُ وَيُرْضِيهِ، وَيَذْكُرُهُ وَيَشْكُرُهُ بِتَوْفِيقِهِ لَهُ ثُمَّ يَعْصِيهِ وَيُخَالِفُهُ وَيُسْخِطُهُ وَيَغْفُلُ عَنْهُ بِخِذْلَانِهِ لَهُ، فَهُوَ دَائِرٌ بَيْنَ تَوْفِيقِهِ وَخِذْلَانِهِ، فَإِنْ وَفَّقَهُ فَبِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَإِنْ خَذَلَهُ فَبِعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَهُوَ الْمَحْمُودُ عَلَى هَذَا وَهَذَا، لَهُ أَتَمُّ حَمْدٍ وَأَكْمَلُهُ، وَلَمْ يَمْنَعِ الْعَبْدَ شَيْئًا هُوَ لَهُ، وَإِنَّمَا مَنَعَهُ مَا هُوَ مُجَرَّدُ فَضْلِهِ وَعَطَائِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَضَعُهُ وَأَيْنَ يَجْعَلُهُ؟. "مدارج السالكين"(١/ ٤١٥).

عَنِ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ. رواه الترمذي(٢٥١٦)، وغيره.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: فَمَنْ ظَنَّ الِاسْتِغْنَاءَ بِالسَّبَبِ عَنْ التَّوَكُّلِ فَقَدْ تَرَكَ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ التَّوَكُّلِ؛ وَأَخَلَّ بِوَاجِبِ التَّوْحِيدِ وَلِهَذَا يُخْذَلُ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ إذَا اعْتَمَدُوا عَلَى الْأَسْبَابِ. فَمَنْ رَجَا نَصْرًا أَوْ رِزْقًا مِنْ غَيْرِ اللَّهِ خَذَلَهُ اللَّهُ. "مجموع الفتاوى"(١٧٩ـ ١٨٠).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». رواه مسلم(٢٦٦٤). فمآل الاستعانة بغير الله إلى العجز والخذلان.

## البخيل ليس له أصدقاء

مَنْ كَانَ لِلخَيْرِ مَنَّاعًا فَلَيْسَ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانٌ وَأَخْدَانُ

الخير قد يراد به المال قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ العاديات: ٨

ويُراد به: الاسم الجامع لكل ما ينتفع به الإنسان وهو خلاف الشر.

المَنَّاع: المبالغ في منع الخير صيغة مبالغة.

"وَأَخْدَانُ": أصدقاء، جمع خدن، قال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: الخِدْنُ والخَدينُ: الصديق. يقال: خادنت الرجل. "الصحاح"(٥/ ٢١٠٧).

من يمنع خيره على الناس من علم أو مال، بقول أو بفعل يخسر الناس ولا يكون له إخوان ولا أصحاب عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرُّقَى، فَجَاءَ آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَنَا رُقْيَةٌ نَرْقِي بِهَا مِنَ الْعَقْرَبِ، وَإِنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى، قَالَ: فَعَرَضُوهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا أَرَى بَأْسًا مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ». رواه مسلم(٢١٩٩).

وقد أمر الله تعالى بفعل الخير قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الحج: ٧٧.

وجاء عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ

فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا - وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ». رواه الطبراني في "الكبير"(١٣٦٤٦)، وغيره وهو في "الصحيحة"(٩٠٦).

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ». رواه الطبراني في "الأوسط" (٥٧٨٧). وهو الصحيحة"(٤٢٦).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الأنبياء: ٧٣.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ». رواه مسلم (٢٦٢٦).

فمن لم يحسن للناس لم يُقبلوا عليه ولم يعاشروه.

ومنع الخير مذموم ومانعه مذموم. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ القلم [١٠-١٢].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ۝٢٣ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝٢٥ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ ق: ٢٣ – ٢٦

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ المعارج: ١٩ – ٢٥

## أثر الكرم في الناس

**مَنْ جَادَ بِالمَالِ مَالَ النَّاسُ قَاطِبَةً إِلَيْهِ وَالمَالُ لِلإِنْسَانِ فَتَّانُ**

سمحت نفسه فأنفق وبذل من ماله قال ابن فارس: الجودُ: خلاف البخلِ، ويقال: جاد جودًا. "مجمل اللغة" (صـ: ٢٠٢).

فمن جاد بماله وبذله مال الناس إليه؛ لأن المال فتنة فينقادون له ويتبعونه فالمال فتنة لهذه الأمة.

وأتى بصيغة فعَّال؛ لشدة فتنته وافتتان الناس به.

عَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ». رواه أحمد (١٧٤٧١)، والترمذي (٢٣٣٦)، والبيهقي في "الشعب"(٩٧٢٧)، والحاكم (٧٨٩٦)، والقضاعي في "مسند الشهاب"(١٠٢٢)، وغيرهم وهو "الصحيحة"(٥٩٢). وفي "الصحيح المسند" (١٠٩٣).

والمال من أسباب زيغ الكثير من الناس، وهلكتهم.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ، فَقَالَ: «آلْفَقْرَ تَخَافُونَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيهْ، وَايْمُ اللَّهِ، لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ».قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: صَدَقَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تَرَكَنَا وَاللَّهِ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ». رواه ابن ماجه(٥)، وحسنه الألباني رحمه الله في "الصحيحة"(٦٨٨).

عن عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى

مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ». رواه البخاري(٣١٥٨)، (٤٠١٥)، (٦٤٢٥) ومسلم(٢٩٦١).

وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: الْبَخِيلُ لَيْسَ لَهُ خَلِيلٌ. "أدب الدنيا والدين" (صـ: ١٨٥).

قال بعضهم:

رأيْتُ الناسَ قد مالُوا ... إلى مَن عِندَهُ مالُ
ومَن لا عِندهُ مال ... فعَنْهُ الناسُ قد مالوا
رأيْتُ الناسَ قد ذهَبُوا ... إلى مَن عِندَهُ ذهَبُ
ومَن لا عِندَهُ ذهَبُ ... فعَنْهُ الناسُ قد ذهَبُوا
رأيْتُ الناسَ مُنفَضّه ... إلى مَن عِندَهُ فِضّه
ومَن لا عِندَهُ فِضّه ... فعَنْهُ الناسُ مُنفَضّه

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: اعلم أن السخاء والبخل درجات: فأرفع درجات السخاء الإيثار، وهو أن تجود بالمال مع الحاجة إليه. وأشد درجات البخل، أن يبخل الإنسان على نفسه مع الحاجة،

فكم من بخيل يمسك المال، ويمرض فلا يتداوى، ويشتهى الشهوة فيمنعه منها البخل؟

فكم بين من يبخل على نفسه مع الحاجة، وبين ما يؤثر على نفسه مع الحاجة؟، فالأخلاق عطايا يضعها الله عز وجل حيث يشاء. وليس بعد الإيثار درجة في السخاء. "مختصر منهاج القاصدين".

واللهُ تعالى يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الحشر: ٩

ويقول: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ التغابن: ١٦.

وفي الحديث عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا». رواه البخاري (٥٠٩١)، (٦٤٤٧).

الناس يتقبلونه ويميلون إليه لا سيما من لم يزن الأمور بالشرع.

قال ابنُ الوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –:

غَيرَ أنيّ في زَمانٍ مَنْ يكنْ ... فيهِ ذَا مَالٍ هُوَ المولَى الأَجلْ

وَاجبٌ عِندَ الورى إكرامُهُ ... وَقليلُ المالِ فيهم يُستقلْ

## المسالمة الشرعية طريق السلامة

مَنْ سَـالَمَ النَّاسَ يَسْـلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِم وَعَـاشَ وَهُـوَ قَـرِيـرُ الْـعَـيْنِ جَـذْلاَنُ

المسالمة: هي المصالحة والمتاركة، والغوائل جمع غائلة. وهي الشرور.

قال الحموي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: غَالَهُ غَوْلًا مِنْ بَابِ قَالَ، أَهْلَكَهُ، وَاغْتَالَهُ قَتَلَهُ عَلَى غِرَّةٍ وَالِاسْمُ: الْغِيلَةُ بِالْكَسْرِ، وَالْغَائِلَةُ: الْفَسَادُ وَالشَّرُّ، وَغَائِلَةُ الْعَبْدِ إبَاقُهُ وَفُجُورُهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَالْجَمْعُ: الْغَوَائِلُ.

وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: الْغَوَائِلُ: الدَّوَاهِي وَالْمَغُولُ مِثْلُ مِقْوَدٍ سَيْفٌ دَقِيقٌ لَهُ قَفًا كَهَيْئَةِ السِّكِّينِ، وَالْغُولُ مِنْ السَّعَالِي، وَالْجَمْعُ غِيلَانٌ وَأَغْوَالٌ، وَكُلُّ مَا اغْتَالَ الْإِنْسَانَ فَأَهْلَكَهُ فَهُوَ غُولٌ. "المصباح المنير"(٢/ ٤٥٧).

فالمعنى من سالم الناس يسلم من شرهم، ومكرهم، وخداعهم، وعاش مسرورا فرحا مطمئن النفس هادئ البال.

### قرير العين

قال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: ورجلٌ قريرُ العين، وقد قرَّت عينه تَقِرُّ وتَقَرُّ: نقيض سخنت. وأقر الله عينَه، أي أعطاه حتَّى تَقَرَّ فلا تطمح إلى من هو فوقه. ويقال: حتَّى تبرد ولا تسخن. فللسرور دمعةٌ باردة، وللحزن دمعة حارَّةٌ. "الصحاح" (٢/ ٧٩٠).

قال المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: (وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ) كِنَايَةٌ عَنِ السُّرُورِ وَالْفَرَحِ

قَالَ فِي النِّهَايَةِ: وَفِي حَدِيثِ الِاسْتِسْقَاءِ لَوْ رَآكَ لَقَرَّتْ عَيْنَاهُ، أَيْ: لَسُرَّ بِذَلِكَ وَفَرِحَ وَحَقِيقَتُهُ أَبْرَدَ اللَّهُ دَمْعَةَ عَيْنَيْهِ؛ لِأَنَّ دَمْعَةَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ بَارِدَةٌ. "تحفة الأحوذي"(٣/ ٥٢٠).

"جذلان" الجذل هُوَ السرُور الثَّابِت. "الفروق اللغوية" للعسكري (صـ: ٢٦٦).

فمعنى "وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانُ": عاش مسرورًا فرحًا بغير هم وغم.

## هل المسالمة مطلقة لجميع الناس؟

المسالمة ليست على إطلاقها، فأهل الكفر والإلحاد يجب معاداتهم والتحذير منهم، وأهل البدع والضلال يحذر منهم ومن ضلالهم بقدر ما عندهم.

وقدر أمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بالمسالمة والمتاركة لأهل الشرك والكفر مدة من الزمن، ثم أمر بالقتال.

قال الله تعالى: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ الزخرف: ٨٩

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ: إِنَّ قَوْلَهُ – تَعَالَى –: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ ﴾ وَمَا فِي مَعْنَاهُ – مَنْسُوخٌ بِآيَاتِ السَّيْفِ، وَجَمَاعَاتٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ يَقُولُونَ: هُوَ لَيْسَ بِمَنْسُوخٍ. وَالْقِتَالُ فِي الْمَحَلِّ الَّذِي يَجِبُ فِيهِ الْقِتَالُ وَالصَّفْحُ عَنِ الْجَهَلَةِ

وَالْإِعْرَاضُ عَنْهُمْ - وَصْفٌ كَرِيمٌ، وَأَدَبٌ سَمَاوِيٌّ، لَا يَتَعَارَضُ مَعَ ذَلِكَ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ - تَعَالَى -. "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (٧/ ١٧١).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ ﴾ أي: اصفح عنهم ما يأتيك من أذيتهم القولية والفعلية، واعف عنهم، ولا يبدر منك لهم إلا السلام الذي يقابل به أولو الألباب والبصائر الجاهلين، كما قال تعالى عن عباده الصالحين: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴾ الفرقان: ٦٣ أي: خطابا بمقتضى جهلهم ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ الفرقان: ٦٣ فامتثل صلى الله عليه وسلم، لأمر ربه، وتلقى ما يصدر إليه من قومه وغيرهم من الأذى، بالعفو والصفح، ولم يقابلهم عليه إلا بالإحسان إليهم والخطاب الجميل.

فصلوات الله وسلامه على من خصه الله بالخلق العظيم، الذي فضل به أهل الأرض والسماء، وارتفع به أعلى من كواكب الجوزاء. "تفسير الآية السابقة"

قال ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: عَلَيْك رَحِمَك اللَّهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ وَرِضَاهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ سِرًّا وَجَهْرًا مَعَ صَفَاءِ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ كَدَرٍ وَلِكُلِّ أَحَدٍ وَاتْرُكْ حُبَّ الْغَلَبَةِ وَالتَّرَؤُّسِ وَالتَّرَفُّعَ. "الآداب الشرعية"(٣/ ٥٥٦).

وأبو الفتح البستي رَحِمَهُ ٱللَّهُ - كأنه أراد والله أعلم بالناس أهل الإسلام.

## المسلم الكامل

جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ». رواه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠)، وليس عند مسلم «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ – عند هذا الحديث: والمراد بهذا الحديث الحض على ترك أذى المسلمين باللسان واليد والأذى كله.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ –: المراد أفضل المسلمين من جمع إلى أداء حقوق الله تعالى أداء حقوق المسلمين. كما في "الفتح"(١/٥٣).

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ –: مَعْنَاهُ مَنْ لَمْ يُؤْذِ مُسْلِمًا بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ وَخَصَّ الْيَدَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ مُعْظَمَ الْأَفْعَالِ بِهَا، وَقَدْ جَاءَ الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ بِإِضَافَةِ الِاكْتِسَابِ وَالْأَفْعَالِ إِلَيْهَا لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ قَالُوا مَعْنَاهُ الْمُسْلِمُ الْكَامِلُ وَلَيْسَ الْمُرَادُ نَفْيَ أَصْلِ الْإِسْلَامِ عَنْ مَنْ لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ بَلْ هذا كما يقال العلم ما نفع، أو العالم زَيْدٌ أَيِ الْكَامِلُ أَوِ الْمَحْبُوبُ.

وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ». رواه البخاري (١١)، ومسلم (٤٢).

وجاء عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند مسلم (٤١).

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِاللهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ» قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا» قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ:

«تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ». رواه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٨٤).

وجاء عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ». رواه البخاري (٦٠١٦)، وجاء عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ». رواه البخاري (٦٠١٦)، ومسلم (٤٦).

وعَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: " أَنْ يُسْلِمَ قَلْبُكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ "الحديث. رواه أحمد (١٧٠٢٧)، وفيه ضعفٌ، وللحديث شواهد. وقال الألباني في "الصحيحة"(١٥٠٤)، (٩/٤): فهو صحيح إن كان أبو قلابة سمعه من عمرو بن عبسة.

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ –: فإيذاء المسلم من نقصان الإسلام والإيذاء ضربان ضرب ظاهر بالجوارح كأخذ المال بنحو سرقة أو نهب وضرب باطن كالحسد والغل والبغض والحقد والكبر وسوء الظن والقسوة ونحو ذلك فكله مضر بالمسلم مؤذ له وقد أمر الشرع بكف النوعين من الإيذاء وهلك بذلك خلق كثير. "فيض القدير" (٦/ ٢٧١).

## العقل السليم

مَنْ كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ غَدَا وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْحِرْصِ سُلْطَانُ

إذا كان عقلك هو يحجزك عن المحرمات له سلطان عليك العقل السليم الذي لم يدنس، ولم يفسد "غَدَا" أي: صار وليس للحرص عليك سبيل وحجة.

(والمعنى: من بات والعقل عليه حجة أصبح والحرص لا يجد إليه سبيلا الحاصل أن من عمل العمل بعقل وفكر في أمور دنياه وعقباه لم يغلب عليه الشهوة ولا الحرص ولا الطمع ...الخ). (نقرة).

مَا وَهَبَ اللَّهُ لِامْرِئٍ هِبَةً أَحْسَنَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ

هُمَا جَمَالُ الْفَتَى فَإِنْ فُقِدَا فَفَقْدُهُ لِلْحَيَاةِ أَجْمَلُ بِهْ

والعاقل يتأمل العواقب ويشاور في أموره ويتصف بالرزانة وعدم العجل والطيش، وينتفع بالنصح.

قال أبو حازم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: لَيْسَ لِلْمَلُوْلِ صَدِيْقٌ، وَلاَ لِلْحَسُودِ رَاحَةٌ، وَالنَّظَرُ فِي العَوَاقبِ تَلقِيحُ العُقُوْلِ. "سير أعلام النبلاء" ط الرسالة (٦/ ٩٧).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: والنصيحةُ لِقَاحُ العَقْل، فكُلما قَوِيَتِ النصيحةُ قَوِيَ العَقلُ واستنَارَ. "الفوائد" (صـ: ٢٠٠).

## من عواقب التطلع للباطل

**مَنْ مَدَّ طَرْفًا لِفَرْطِ الْجَهْلِ نَحْوَ هوى أَغْضَـــى عَلَى الْحَقِّ يَوْمًا وَهْوَ خَزْيَانُ**

"مَنْ مَدَّ طَرْفًا" الطرْف: البصر، ومنه قوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ النمل: ٤٠.

أي: من أطلق بصره "لِفَرْطِ الْجَهْلِ" أفرط في الأمر: تجاوز الحد فيه؛ لشدة الجهل اتباعا لجهة الهوى.

فمن تجاوز الحد وأطلق بصره نحو الأهواء واتبعها، "أَغْضَى عَلَى الْحَقِّ يَوْمًا وَهْوَ خَزْيَانُ" أنزل جفنه وهو خزيان ذليل فخزيان: من الخزي وهو الهوان، أو من الخزاية والاستحياء.

وقوله: "يوما" أي: سيأتي يوم يكون كذلك، أو يكون المراد يوم القيامة يكون في خزي وهوان.

والمعاصي طريق الذلة والخزي، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ يونس: ٢٧

قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ -: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُ الذَّنْبَ فِي السِّرِّ فَيُصْبِحُ وَعَلَيْهِ مَذَلَّتُهُ». "التوبة" لابن أبي الدنيا (١٩٥)، و"العقوبات"(٦٧)، والبيهقي في "الشعب"(٦٨٣٩). وسنده صحيح.

وَقَالَ غَيْرُهُ (خطاب العابد): «إِنَّ الْعَبْدَ لِيُذْنِبُ الذَّنْبَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، ثُمَّ يَجِيءُ إِلَى إِخْوَانِهِ، فَيَرَوْنَ أَثَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ». أخرجه ابن أبي الدنيا في "التوبة"(١٩٤)، و"العقوبات"(٦٦)، وأبو نعيم في "الحلية" (١٠/ ١٤٤). بسند صحيح.

المعصية تذل الشخص والطاعة والتوبة تعزه ويرتفع بها بإذن الله تعالى.

وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: وَإِنْ هَمْلَجَتْ بِهِمْ خُيُولُهُمْ وَرَفْرَفَتْ بِهِمْ رَكَائِبُهُمْ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ فِي قُلُوبِهِمْ أَبَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ. "تاريخ الطبري"(١١/ ٦٣٨)، و"الآداب الشرعية" (١/ ١٥٣)، و"البداية والنهاية"ط الفكر (٩/ ٢٧٣).

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: مَنْ نَقَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذُلِّ الْمَعَاصِي إِلَى عِزِّ الطَّاعَةِ أَغْنَاهُ بِلَا مَالٍ، وَآنَسَهُ بِلَا أُنْسٍ، وَأَعَزَّهُ بِلَا عَشِيرَةٍ. كما في "الآداب الشرعية" (١/ ١٥٣)، وروي مرفوعاً عند أبي نعيم في "الحلية"(٣/ ١٩١).

أَخَذَهُ مَحْمُودُ الْوَرَّاقُ فَقَالَ:

هَـذَا الـدَّلِـيـلُ لِمَـنْ أَرَادَ غِـنًـى يَـدُومُ بِـغَـيْـرِ مَـالِ
وَأَرَادَ عِـزًّا لَـمْ تُـوَطِّـدْهُ الْـعَشَـائِـرُ بِـالْـقِـتَـالِ
وَمَـهَـابَـةً مِـنْ غَـيْـرِ سُـلْـطَـانٍ وَجَـاهًـا فِـي الـرِّجَـالِ
فَـلْـيَـعْـتَصِـمْ بِـدُخُـولِـهِ فِي عِـزِّ طَـاعَـةِ ذِي الْـجَـلَالِ
وَخُـرُوجِـهِ مِـنْ ذِلَّـةِ الْـعَـاصِـي لَـهُ فِـي كُـلِّ حَـالِ

## صعوبة المخالطة

**مَنْ عَاشَرَ النَّاسَ لاَقَى مِنْهُمُ نَصَبًا ... لأَنَّ سُوْسَهُمُ بَغْيٌ وَعُدْوَانُ**

"المعاشرة": المخالطة. و"النصب": التعب.

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». رواه أحمد (٨٤١٧)، وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨).

فالإنسان بحاجة للنظر فيمن يعاشر ويخالط فإن المعاشر يجد منهم التعب. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ». رواه ابن ماجه (٤٠٣٢)، والترمذي (٢٥٠٧)، وهو في "الصحيحة"(٩٣٩).

وقوله: "لأَنَّ سُوْسَهُمُ بَغْيٌ وَعُدْوَانُ" سوسهم أي: طبعهم وأصلهم ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ الأحزاب: ٧٢. وإنما يمنع الإنسان من الجور والبغي والعدوان الموانع الشرعية والعقول الصحيحة فيحتاج الإنسان للصبر في مخالطة الناس وإلا اعتزلهم؛ ليسلم منهم لأنه يجد منهم التعب والنصب ولا بد لاختلاف طبائعهم وأفكارهم وعقيدتهم.

## قلة الصادقين

وَمَنْ يُفَتِّشْ عَنِ الإِخْوَانِ يَقْلِهِمُ فَجُلُّ إِخْوَانِ هَذَا العَصْرِ خَوَّانُ

قال الخليل: الفَتشُ والتَّفتيشُ: طلبٌ في بحثٍ. "العين" (٦/ ٢٤٦).

"يَقْلِهِمُ" أي: يبغضهم، ويتركهم، ويبتعد عنهم، ومنه قوله الله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ الضحى: ٣.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: أَيْ مَا تَرَكَكَ مُنْذُ اخْتَارَكَ وَلَا أَبْغَضَكَ مُنْذُ أَحَبَّكَ. المعنى من يفتش ويتفحص أحوال إخوانه يبغضهم بأنه سيطلع على أقوالهم الردية وأسرارهم الغير مرضية وأفعالهم الغير محمودة؛ لأن الغالب عليهم في هذا الزمان لا يسلكون الجادة الشرعية والطريقة القويمة.

"فَجُلُّ" أي: غالب ومعظم.

"خَوَّانُ" بفتح الخاء وضمه بالضم جمع خائن وبالفتح مصدر.

ولله درُ القائل كما في: "تاريخ دمشق" (٧٢/ ١٠٥):

ما أكثرَ الناسَ لا بل ما أقلَّهُمُ اللهُ يعلمُ أنّي لم أقلْ فَنَدا

إنّي لأفتحُ عيني حينَ أفتَحُها على كثيرٍ ولكنْ لا أرى أحَدا

وقال آخر كما في "العزلة" للخطابي. صـ٨٠

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وَأَخْلَاقِهِمْ فَصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بِالْوَحْدَةِ

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَعَمْرِي وَمَا أَقَلَّهُمْ فِي مُنْتَقَى الْعِدَّةِ

وقال بعضهم كما في "الحلة السيراء"(١/ ٢٤):

قَـالُـوا الْـعَـمى مـنـظـر قَـبِـيـح ... قـلـت بـفـقـدي لَـهُـم يـهـون
تـالله مَـا فِـي الْأَنَـام شَـيْء ... تـأسـى عـلى فَـقـده الْـعُـيُـون

وتروى حر بدل شيء، وهذا الكلام ليس على إطلاقه

الشاهد بأن المتأمل في أحوال الناس يجد من أقوالهم وأعمالهم ما يخالف الشرع أشياء كثيرة. ولا يجوز للإنسان أن ينقب ويتتبع عيوب الناس ويتجسس عليهم

يقول الله تعالى:﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ الحجرات: ١٢.

جاء عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ» قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ: «مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكِ». رواه الترمذي(٢٠٣٢)، وابن حبان(٥٧٣٣)، وعنده: (وَلَا تُعَيِّرُوهُم، وَلَا تَطْلُبوا عَثَرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْ عَوْرَةَ الْمُسْلِمِ؛ يَطْلُبِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ)، وجاء بنحوه عن أبي برزة الأسلمي، وعن البراء وهي في "صحيح الجامع الصغير".

قال أبو إسحاق الشيرازي رَحِمَهُ اللَّهُ – كما في "سير أعلام النبلاء" ط الرسالة (١٨/ ٤٦٢):

سَـأَلْتُ النَّاسَ عَنْ خلٍّ وفِيٍّ سَـأَلْتُ ... فَـقَـالُـوا مَـا إِلَى هَـذَا سَـبِـيْـلُ
تَـمَسَّـكْ إِنْ ظَـفِـرْتَ بِـوُدِّ حـرٍّ ... فَـإِنَّ الـحُـرَّ فِي الـدُّنْـيَـا قَـلِـيْـلُ

وانظر ماذا قال ابن الوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –:

كُلُّ أهلِ العصرِ غمرٌ وَأَنَا ... مِنهُمُ فَاترُك تَفَاصِيلَ الجُمَلْ

فإذا كان هذا في أزمانهم وهذه هي نظرتهم للناس ولأنفسهم فكيف الحال اليوم!

قال مُحَمَّدُ بْن حَازِمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –كما في "العزلة" للخطابي (صـ: ٦٢):

إِخْوَانُ هَذَا الزَّمَانِ كُلُّهُمُ ... إِخْوَانُ غَدْرٍ عَلَيْهِ قَدْ جُبِلُوا

أَخُوهُمُ الْمُسْتَحِقُّ وَصْلَهُمُ ... مَنْ شَرِبُوا عِنْدَهُ وَمَنْ أَكَلُوا

طَوَوْا ثِيَابَ الْوِصَالِ بَيْنَهُمُ ... وَصَارَ ثَوْبُ الرِّيَاءِ يُبْتَذَلُ

وَلَيْسَ فِيمَا رَأَيْتُ بَيْنَهُمُ ... وَبَيْنَ مَنْ كَانَ مُعْدَمًا عَمَلُ

فَاحْفَظْ مِنَ النَّاسِ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ ... مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي إِخَائِهِ دَغَلُ

ولا يعني بأنه لا يوجد أوفياء صلحاء على الإطلاق بل يوجد ولكن قلة قليلة لا سيما أصحاب الصدق والأمانة والرشد وعدم الخيانة.

وانظر إلى هذه الأبيات التي ذكرها الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في العزلة وعلق عليها

أَلَا ذَهَبَ التَّذَمُّمُ وَالْوَفَاءُ ... وَبَادَ رِجَالُهُ وَبَقَى الْغُثَاءُ

وَأَسْلَمَنِي الزَّمَانُ إِلَى أُنَاسٍ ... كَأَنَّهُمُ الذِّئَابُ لَهُمْ عُوَاءُ

إِذَا مَا جِئْتُهُمْ يَتَدَافَعُونِي ... كَأَنِّي أَجْرَبٌ أَعْدَاهُ دَاءُ

صَدِيقٌ لِي إِذَا اسْتَغْنَيْتُ عَنْهُمْ ... وَأَعْدَاءٌ إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ

أَقُولُ وَلَا أُلَامُ عَلَى مَقَالِي ... عَلَى الْإِخْوَانِ كُلُّهُمُ الْعَفَاءُ

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: هَذَا قَوْلٌ بَشِعٌ وَكَلَامٌ جَافٍ وَالْأُخُوَّةُ مَصُونَةٌ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الصِّفَاتِ. وَحَاشَا لِلْإِخَاءِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْعَفَاءُ. وَإِنَّمَا غَلَطَ الْقَوْمُ بِالِاسْمِ فَنَحَلُوهُ غَيْرَ أَهْلِهِ وَبَذَلُوهُ غَيْرَ مُسْتَحِقِّهِ. فَسَمُّوا الْمَعَارِفَ إِخْوَانًا ثُمَّ أَنْشَأُوا يَذُمُّونَ الْأُخُوَّةَ وَيَعِيبُونَ الصَّدَاقَةَ مِنْ أَجْلِهِمْ وَهَذَا جَوْرٌ وَعُدْوَانٌ...

إِذَا مَا كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلًا ... فَلَا تَأْمَنْ خَلِيلَكَ أَنْ يَخُونَا

فَإِنَّكَ لَمْ يَخُنْكَ أَخٌ أَمِينٌ ... وَلَكِنْ قَلَّ مَنْ تَلْقَى أَمِينَا

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَكَيْفَ يَكُونُ لَكَ صَدِيقًا مَنْ لَا يَصْدُقُكَ لِسَانُهُ عَنْ قَلْبِهِ وَلَا عِيَانُهُ عَنْ غَيْبِهِ، إِذَا رَآكَ قَالَ: أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ وَهُوَ يَتَمَنَّى فَنَاءَ عُمُرِكَ وَقَصْرَ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَأَكْرَمَكَ اللَّهُ وَهُوَ يُرِيدُ هَوَانَكَ وَهَلَاكَكَ، وَسَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَهُوَ يَتَمَنَّى أَنْ يُسَلِّمَكَ اللَّهُ وَلَا يَصُونَكَ. وَهَلْ يَكُونُ مَنْ هَذِا صِفَتُهُ أَخًا أَوْ صَدِيقًا؟ لَا وَحَقِّكَ إِنَّهُ أَعْدَى الْأَعْدَاءِ وَأَوْلَى النَّاسِ بِالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ. "العزلة" للخطابي (صـ:٦٤و٦٥).

وقَالَ الشَّيْخُ أَبُو سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَفِي الْعُزْلَةِ السَّلَامَةِ مِنَ الْمَأْثَمِ فِي الْمُنْكَرِ يَرَاهُ الْإِنْسَانُ فَلَا يُغَيِّرُهُ وَالْأَمَانُ مِنْ غَوَائِلِ أَهْلِهِ وَمِنْ عَادِيَتِهِمْ إِذَا غَيَّرَهُ فَقَدْ أَبَى أَكْثَرُ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ قَبُولَ النَّصَائِحِ وَنَصَبُوا الْعَدَاوَةَ لِمَنْ دَعَاهُمْ إِلَى هُدًى أَوْ نَهَاهُمْ عَنْ رَدًى. فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْوَحْدَةِ وَالتَّبَاعُدِ مِنْهُمْ إِلَّا السَّلَامَةُ مِنْ إِثْمِ الْمُدَاهَنَةِ وَخَطَرِ الْمُكَافَحَةِ لَكَانَ فِي ذَلِكَ الرِّبْحُ الرَّابِحُ وَالْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ. "العزلة للخطابي" (صـ: ٢٧).

## تغير الأحوال

مَنِ اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ عَلَى حَقِيقَةِ طَبْعِ الدَّهْرِ بُرْهَانُ

"اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ"، استكشف تصاريفه؛ نوائبه، ومصائبه، وحوادثه، وتقلباته.

فمن نظر في أحواله وحوادثه، بانت له حقائق الدهر، وأنه لا يثبت على حال لا على فرح ولا حزن، ويتبين له حال الناس وأخلاقهم بحجة واضحة.

والدهر نفسه لا يملك شيئا ولا تنسب الأفعال إليه ولا يستشار، وإنما المراد من تأمل أحوال الناس على ممر الزمن عرف حقائقهم.

وأما الدهر لا تنسب إليه الأفعال، ولا يجوز سبه، عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ». رواه البخاري (٦١٨١)، ومسلم (٢٢٤٦). وفي رواية لمسلم (قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: " يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا).

وبوب البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ –: بَابٌ: لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ، وبوب النووي رحمه الله في مسلم: بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ.

وهذه البيت منتقدة وهي:

دَعِ الأَيَّامَ تَفعَلُ ما تَشاءُ وَطِب نَفسًا إِذا حَكَمَ القَضاءُ

قال العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ – وقد سئل عنها هل فيه شيء يا شيخ؟

نعم، لا شك أن فيه شيئًا في الشطر الأول؛ لأن الأيام ليست تفعل، إنما الذي يفعل هو: الله عز وجل؛ لكن قد يُعَبَّر بالزمن عن الفاعل وهو الله عز وجل، ومن ذلك

قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر) فقد يريد الشاعر بقوله: "دع الأيام تفعل ما تشاءُ" يريد بذلك الرب عز وجل، بمعنى أنه يقول: ارضَ بقضاء الله كما بيَّن ذلك في الشطر الثاني: "وطب نفساً إذا حكم القضاءُ" فعلى كل حال: الشاعر له وجهة نظر في الشطر الأول، أما الشطر الثاني فلا غبار عليه؛ لكننا نقول: لا ينبغي للإنسان أن يقول هكذا، وأن يضيف الحوادث إلى زمنها. "لقاء الباب المفتوح"

وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: هذا من يقول بالمجاز وكان مسلمًا، فيستساغ منه على التأويل، كقولهم: "أنبت البقلَ الربيعُ" أما من كان يساء الظن به فلا يتكلم به، ومن كان [ممن] يعلمون أن المؤمن إنما ينسب كل تصرف في الكون إلى الله، ولكن ذلك لا يمنع من نسبة الشيء إلى السبب الذي جعله الله عز وجل سببًا كمن يقول: أشبعني هذا الخبز، وأرواني هذا الماء، فليس في هذا شيء ولكن ينبغي أن يلاحظ المكان الذي يقال فيه مثل هذا الكلام، فإذا كان [بين ناس لا يفهمون] فلا ينبغي أن ينطق به، ويكفي في هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «إياك وما يعتذر منه».

فإذا تكلمت بمثل هذا الكلام الذي يحتاج إلى شيء من التأويل بين ناس لا يفهمون عليك ما تقول يأتي قول الرسول المذكور: «إياك وما يعتذر منه» أما إذا كان يعيش بين أناس من العرب لا يزالون على التوحيد وعلى الفهم لأصل لغتهم فما أحد يشك بأن هذه العبارة من باب المجاز المستعمل في اللغة وليس في الكتاب أو السنة، على ما هو مشروح في كتب ابن تيمية رحمه الله. "موسوعة الألباني في العقيدة" (٩/ ٦٤٣).

## لكل زرع حصاد وعواقب

مَنْ يَزْرَعِ الشَّـــرَّ يَحْصُـدْ فِي عَوَاقِبِهِ نَـدَامَـةً وَلِـحَصْـــدِ الـزَّرْعِ إِبَّـانُ

الزرع: طرح البذر على الأرض، وحصده قطعه وجذاذه، فمن زرع الخير جنى العاقبة الحسنة وقت الحصاد، ومن زرع شرا جنى العاقبة الوخيمة.

ويوم الحصاد: هو يوم القيامة قال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الجاثية: ٢٨

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ الأنعام: ٩٣ زرعوا الكذب على الله فحصدوا العذاب الهون.

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَأَنَّ الدُّنْيَا مَحَلُّ الزَّرْعِ، وَالْآخِرَةَ وَقْتُ الْحَصَادِ، وَأَنَّ الدُّنْيَا مَعْبَرٌ وَمَمَرٌّ، وَالْآخِرَةَ دَارُ مُسْتَقَرٍّ. "مدارج السالكين"(٣/ ٢٦٠).

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ الجاثية: ١٥ وقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الزلزلة: ٧ – ٨.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ. رواه أحمد (٢٢٠٦٨)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والترمذي (٢٦١٦).

قال ابنُ رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَالْمُرَادُ بِحَصَائِدِ الْأَلْسِنَةِ: جَزَاءُ الْكَلَامِ الْمُحَرَّمِ وَعُقُوبَاتُهُ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَزْرَعُ بِقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ يَحْصُدُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ مَا زَرَعَ، فَمَنْ زَرَعَ خَيْرًا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، حَصَدَ الْكَرَامَةَ، وَمَنْ زَرَعَ شَرًّا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، حَصَدَ غَدًا النَّدَامَةَ. "جامع العلوم والحكم" ت الأرنؤوط (٢/ ١٤٧).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَيْحَكَ أَتْطَمَعُ فِي الْحَصَادِ وَلا بَذْرَ لَكَ، أَتَرْجُو الأَرْبَاحَ وَلا تِجَارَةَ مَعَكَ، تَبْنِي بِلا أَسَاسٍ وَلا يَثْبُتُ الْبِنَاءُ. "التبصرة لابن الجوزي" (٢/ ٥٣).

**فأد حقوقه قولا وفعلا ... وزادك فاتخذه للمعاد**

**فمن زرع الحبوب وما سقاها ... تأوه نادما يوم الحصاد**

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ». رواه مسلم(٢٥٧٧).

قوله: "وَلِحَصْدِ الزَّرْعِ إِبَّانُ" أي: لحصاد الزرع وقت كما أن لزرع الحب وقت للحصاد فكذلك لمن يزرع الخير أو للشر وقت للحصاد وهو يوم القيامة.

كما قال القائل:

**غدًا تُوَفَّى النّفوسُ ما كسَبت ... ويحصُدُ الزَّارعون ما زرَعوا**

**إن أحسنوا أحسنوا لأنفُسِهم ... وإن أساءوا فبئس ما صنعوا**

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: كل مالا يثمر من الأشجار في أوان الثمار فإنه يقطع ثم يوقد في النار من فرط في الزرع في وقت البدار لم يحصد يوم الحصاد غير الندم والخسارة. "لطائف المعارف" (صـ: ٢١١).

**من فاتَهُ الزَّرعُ في وقتِ البذارِ فَمَا ... تراهُ يحصُدُ إلاَّ الهمَّ والنَّدَمَا**

## لا تأمن أهل الشر

مَنِ اسْتَنَامَ إِلَى الأَشْرَارِ نَامَ وَفِي قَمِيصِهِ مِنْهُمُ صِلٌّ وَثُعْبَانُ

قوله: "مَنِ اسْتَنَامَ" أي: سكن إليهم واطمأن إليهم، وجالسهم

" نَامَ وَفِي قَمِيصِهِ مِنْهُمُ صِلٌّ وَثُعْبَانُ" والصِّلُّ، بِالكَسْرِ: الْحَيَّةُ الَّتِي تَقْتُلُ مِنْ سَاعَتِها إِذا نَهَشَتْ، أَو هِيَ الدَّقِيقَةُ الصَّفْرَاءُ، لَا تَنْفَعُ فِيهَا الرُّقْيَةُ. "تاج العروس" (٢٩/ ٣٢٦). والثعبان: الحية العظيمة.

فمن جالس الأشرار كمن يجعل في ثوبه الحيات والعقارب سرعان ما تلدغه.

فهذا تحذير من مجالسة جلساء الشر فهم ضرر والجليس يتأثر بجليسه ولا بد.

وقد حذر الله من قرناء السوء ومجالستهم ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾الأنعام: ٧٠

﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنعام: ٦٨

﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴾ الفرقان: ٢٧ – ٢٩

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، قَالَ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ». رواه الترمذي(٢٣٩٥)، وأبو داود (٤٨٣٢).

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وكامل الإيمان أولى لأن الطباع سراقة ومن ثم قيل صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر كالريح إذا مرت على النتن حملت نتنا وإذا مرت على الطيب حملت طيبا. وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: ليس أحد إلا له محب ومبغض

فإذن لا بد من ذلك فليكن المرجع إلى أهل طاعة الله ومن ثم قيل:

**ولا يصحب الإنسان إلا نظيره وإن لم يكونوا من قبيل ولا بلد**

وصحبة من لا يخاف الله لا يؤمن غائلتها لتغيره بتغير الأعراض قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ الكهف: ٢٨ .

والطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري.

قال حجة الإسلام: والإخوان ثلاثة: أخ لآخرتك فلا نزاع فيه إلا الدين وأخ لدنياك فلا نزاع فيه إلا الخلق وأخ لتأنس به فلا نزاع فيه إلا السلامة من شره وخبثه وفتنته. "فيض القدير" (٦/ ٤٠٤). ومراده بحجة الإسلام: الغزالي.

وكما قال الإلبيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ –:

**وَخَفْ أَبنَاءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنهُم كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ وَالسَّبَنتَى**

**وَخَالِطهُم وَزايلهُم حِذارًا وَكُن كالسَّامِريّ إذا لُمِستا**

**وَإن جَهِلوا عَلَيكَ فَقُل سَلامًا لَعَلَّكَ سَوفَ تَسلَمُ إن فَعَلتا**

**وَمَن لَكَ بِالسَّلامَةِ في زَمانٍ يَنالُ العُصمَ إلاّ إن عُصِمتا**

فصحبة الأشرار جلساء السوء من أهل البدع والمعاصي هي السم القاتل والداء المهلك ولا سيما في هذا الزمن مع مواقع التواصل وشبكات النت وما يبث فيها من أفكار انحلالية وأخلاق هدامة ومبادئ علمانية وماسونية.

قال سعيد ابن أَبِي أيوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: لا تصاحب صاحب السوء فإنه قطعة من النار لا يستقيم وده ولا يفي بعهده. "روضة العقلاء"(صـ: ١١٩).

وقال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: العاقل لا يصاحب الأشرار؛ لأن صحبة صاحب السوء قطعة من النار تعقب الضغائن لا يستقيم وده ولا يفي بعهده.

وإن من سعادة المرء خصالا أربعا: أن تكون زوجته موافقة، وولده أبرارا، وإخوانه صالحين، وأن يكون رزقه في بلده. "روضة العقلاء"(صـ: ١٠١).

قال العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: أنصح إخواني المسلمين أن ينتقوا أخلاءهم وأصحابهم وأصدقاءهم وألا يصطحبوا إلا من هو معروف بالخير والبعد عن الشر معروف بالصلاح والاستقامة والبعد عن المزالق فإن المرء على دين خليله وإن الإنسان إذا صحب شخصاً مستقيماً في دينه وخلقه اكتسب منه ديناً وخلقاً وإذا صحب شخصاً على خلاف ذلك اكتسب منه ما كان عليه. "فتاوى نور على الدرب"(٢٤/ ٢).

## بشاشة الوجه

كُنْ رَيِّقَ البِشْـــرِ إِنَّ الحُرَّ هِمَّتُـهُ صَـحِيفَـةٌ وَعَلَيْهَـا البِشْـــرُ عُنْوَانُ

قوله: "كُنْ رَيِّقَ البِشْرِ "الريق من كل شيء: أفضله وأوله، ومنه رَيِّقُ الشبابِ وريِّقُ المطر. "الصحاح " (٤/ ١٤٨٨).

أي: كن طيب البشر، جميل البشر.

والبِشر: مأخوذ من البشرة، والمراد: طلاقة الوجه وبشاشته، كن منبسط الوجه مسرورًا بشوشًا.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ». رواه مسلم (٢٦٢٦).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ –: رُوِيَ طَلْقٍ عَلَى ثَلَاثَةِ أوجه إسكان اللام وكسرها وطليق بِزِيَادَةِ يَاءٍ وَمَعْنَاهُ: سَهْلٌ مُنْبَسِطٌ.

فِيهِ الْحَثُّ عَلَى فَضْلِ الْمَعْرُوفِ وَمَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَإِنْ قَلَّ حَتَّى طَلَاقَةُ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ. "شرحه لمسلم" عند هذا الحديث.

قال أَبُو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ –: البشاشة إدام العلماء وسجية الحكماء؛ لأن البشر يطفئ نار المعاندة ويحرق هيجان المباغضة وفيه تحصين من الباغي ومنجاة من الساعي ومن بش للناس وجها لم يكن عندهم بدون الباذل لهم مَا يملك. "روضة العقلاء "(صـ: ٧٥).

وفي حديث جابر بن سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله قال له: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ مُبْسَطٌ». رواه أحمد (٢٠٦٣٥)، والطبراني في "الكبير" (٦٣٨٥).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ. رواه الترمذي (١٩٧٠).

عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي». رواه البخاري (٣٠٣٥)، (٦٠٨٩)، ومسلم (٢٤٥٧).

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ – في شرحه للحديث: وفيه أن لقاء الناس بالتبسم وطلاقة الوجه من أخلاق النبوة، وهو مناف للتكبر وجالب للمودة.

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ –: وفيه رد على العالم الذي يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم وعلى العابد الذي يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه منزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم. "فيض القدير" (٣/ ٢٢٦).

قال أَبُو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ –: الواجب على المسلم إذا لقي أخاه المسلم أن يسلم عَلَيْهِ متبسما إليه فإن من فعل ذلك تحات عنهما خطاياهما كما تحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس وقد استحق المحبة من أعطاهم بشر وجهه. "روضة العقلاء "(صـ: ٧٥).

قوله: "إِنَّ الحُرَّ هِمَّتُهُ": المراد بالحر ما كان من خيار الناس وقد يراد به ما يقابل العبد.

قوله: "صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا البِشْرُ عُنْوَانُ" الصحيفة: الوجه، والمعنى: يكون البشر والبشاشة على وجه فهي عنوان على أخلاقه وحسن تعامله.

وكما قيل:

تواضَعْ تكُنْ كالنجم لاح لناظرٍ ... على صفحاتِ الماءِ وهو رفيعُ

ولا تكُ كالدُّخَّانِ يعلو بنفسِه ... إلى طبقاتِ الجوِّ وهو وضيعُ

وبشاشة الوجه قد تكون أنفع من غيره.

بَشَاشَةُ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ الْقِرَى ... فَكَيْفَ بِمَنْ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ ضَاحِكُ

وروي في ذلك حديث ولا يثبت كما في "كشف الخفاء"(١/ ٢٨٥).

قال ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: وَإِذَا جَلَسْت مَجْلِسَ عِلْمٍ أَوْ غَيْرِهِ فَاجْلِسْ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ وَتَلَقَّ النَّاسَ بِالْبُشْرَى وَالِاسْتِبْشَارِ. "الآداب الشرعية والمنح المرعية" (٣/ ٥٥٦).

## ملازمة الرفق

وَرَافِقِ الرِّفْقَ فِي كُلِّ الأُمُورِ فَلَمْ يَنْدَمْ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذْمُمْهُ إِنْسَانُ

"ورافق الرفق": صاحب ولازم الرفق في كل الأمور فإن الرفيق لا يندم على رفقه وليس الرفق بمذموم عند أحد من الناس.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: هُوَ لِينُ الْجَانِبِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْأَخْذِ بِالْأَسْهَلِ وَهُوَ ضد العنف. "فتح الباري" لابن حجر (١٠/ ٤٤٩).

فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ. رواه البخاري (٦٠٢٤) ومسلم (٢١٦٥).

وعَنْ عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: « إِذَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ ». رواه أحمد (٢٤٤٢٧).

وعَنْها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ». رواه مسلم (٢٥٩٤).

عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ». رواه مسلم (٩٥٩٢).

وعَنْ عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ» إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ ». رواه مسلم(٩٥٩٣).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فَضْلُ الرِّفْقِ وَالْحَثُّ عَلَى التَّخَلُّقِ وَذَمُّ الْعُنْفِ وَالرِّفْقُ سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ وَمَعْنَى يُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ أَيْ يُثِيبُ عَلَيْهِ مالا يُثِيبُ

عَلَى غَيْرِهِ وَقَالَ الْقَاضِي مَعْنَاهُ يَتَأَتَّى به من الأغراض ويسهل من المطالب مالا يَتَأَتَّى بِغَيْرِهِ.

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: ومن ثم قيل الرفق في الأمور كالمسك في العطور. "فيض القدير" (٦/ ٢٤١).

والرفق يحبه الله ويحب أهله ويعطيهم مالا يعطي على غيره

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في نونيته:

**وَهُوَ الرفيق يحب أهل الرِّفْق بل ... يعطيهم بالرفق فوق أَمَان**

والرفق يكون في الدعوة والتعامل وفي كل الأمور.

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾النحل: ١٢٥

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في تفسيره: هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ فِي وَقْتِ الْأَمْرِ بِمُهَادَنَةِ قُرَيْشٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى دِينِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ بِتَلَطُّفٍ وَلِينٍ دُونَ مُخَاشَنَةٍ وَتَعْنِيفٍ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُوعَظَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَهِيَ مُحْكَمَةٌ فِي جِهَةِ الْعُصَاةِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ، وَمَنْسُوخَةٌ بِالْقِتَالِ فِي حَقِّ الْكَافِرِينَ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَنْ أَمْكَنَتْ مَعَهُ هَذِهِ الْأَحْوَالُ مِنَ الْكُفَّارِ وَرُجِيَ إِيمَانُهُ بِهَا دُونَ قِتَالٍ فَهِيَ فِيهِ مُحْكَمَةٌ، والله أعلم.

## لا تغتر بحظ الأحمق

وَلاَ يَغُرَّنْكَ حَظٌّ جَرَّهُ خَرَقٌ فَالخَرْقُ هَدْمٌ وَرِفْقُ الْمَرْءِ بُنْيَانُ

قوله: "وَلاَ يَغُرَّنْكَ" أي: ولا يخدعنك.

"حَظٌّ" أي: نصيب "جَرَّهُ خَرَقٌ" أي: صاحبه خرق، بضم الخاء وفتحه.

والخرق: الحمق والسفه والعجلة والغلظة والعنف.

والمراد هنا: نقيض الرفق من العنف والعجلة.

قَالَ اللَّيْثُ: الْخُرْقُ: نقيض الرِّفق وصاحبُه أَخْرَقُ. كما في "تهذيب اللغة" (٧/ ١٤).

وَفِيْ "مختار الصحاح" (صـ: ٩٠): وَ (الْخَرَقُ) بِفَتْحَتَيْنِ مَصْدَرُ (الْأَخْرَقِ) وَهُوَ ضِدُّ الرَّفِيقِ وَبَابُهُ طَرِبَ وَالِاسْمُ (الْخُرْقُ) بِالضَّمِّ. ا.هـ.

فلا تغتر بمستعجل ومندفع فقد تراه في أول أمره في ربح وعاقبته الهدم.

قال أَبُو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: الرافق لا يكاد يسبق كما أن العجل لا يكاد يلحق وكما أن من سكت لا يكاد يندم كذلك من نطق لا يكاد يسلم، والعجل يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم بعد ما يحمد، يعزم قبل أن يفكر ويمضي قبل أن يعزم، والعجل تصحبه الندامة، وتعتزله السلامة، وكانت العرب تكني العجلة أم الندامات. "روضة العقلاء ونزهة الفضلاء"(صـ: ٢١٦).

قوله: "فَالخَرْقُ هَدْمٌ وَرِفْقُ الْمَرْءِ بُنْيَانُ" فالخرق: الحمق، العجلة، الاندفاع، الطيش، سبيل الهدم وطريقه، والرفق طريق البناء وثماره نافعة محققه فلا تستعجل عليها.

فلا تغتر بطيش الأحمق وعنفه إن صاحبه نجاح وفوز في بعض الأوقات والأمور.

## الإحسانُ عند الإمكانُ

أَحْسِـــنْ إِذَا كَـانَ إِمْـكَـانٌ وَمَـقْـدِرَةٌ  فَـلَـنْ يَـدُومَ عَـلَى الإِحْسَـــانِ إِمْـكَـانُ

أحسن في كل ما يمكنك وتقدر عليه في البذل في البر بالوالدين في العلم في الحفظ في الدعوة ونشرها، ومعنى ذلك: استغل الفرصة والإمكان والقدرة فقد تمرض أو تهرم أو تشغل أو تموت أنت أو من تريد الإحسان إليه

فالإمكان قد يكون موجودا فبعد مدة ربما فاتتك المكنة ذهبت الصحة ذهب المال ذهب البصر.

إِنَّ الـلَّـيـالِـيَ وَالأَيَّـامَ حَـامِـلَـةٌ  وَلَـيْـسَ يَـعْـلَـمُ غَـيْـرُ اللهِ مَـا تَـلِـدُ

قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: ومن شيم الأحمق العجلة والخفة والعجز والفجور والجهل والمقت والوهن والمهابة والتعرض والتحاسد والظلم والخيانة والغفلة والسهو والغي والفحش والفخر والخيلاء والعدوان والبغضاء.

وإن من أعظم أمارات الحمق في الأحمق لسانه فإنه يكون قلبه في طرف لسانه مَا خطر على قلبه نطق به لسانه.

والأحمق يتكلم في ساعة بكلام يعجز عنه سحبان وائل ويتكلم في الساعة الأخرى بكلام لا يعجز عنه باقل.

والعاقل يجب عَلَيْهِ مجانبة من هذا نعته ومخالطة من هذه صفته فإنهم يجترئون على من عاشرهم. "روضة العقلاء" (صـ:١٢١). وله كلام جميل قبل هذا الكلام وبعده.

## زينة الإنسانُ عدله وإحسانه

فَـالـرَّوْضُ يَـزْدَانُ بِـالأَنْـوَارِ فَـاغِـمَـةً وَالـحُـرُّ بِـالـعَـدْلِ وَالإِحْسَـانِ يَـزْدَانُ

الرَّوْض: أَرض مخضرة بأنواع النَّبَات. "الكليات" (صـ: ٤٨٢). يَزْدَانُ: يتزين.

قال أعشي بني ثعلبة:

ما رَوْضَةٌ مِن رِياضِ الحُسْن مُعْشِبَةٌ خَضْـــرَاءُ جادَ عَلَيْها مُسْـبِلٌ هَطِلُ

يُضَـاحِكُ الشَّـمس منها كَوْكَبٌ مُـؤزَرٌ بِـعَـمِـيمِ الـنَّـبْـتِ مُـكْـتَـهِـلُ

يَوْما بِأطْيَبَ مِنْها نَشْـــرَ رائحَةٍ وَلا بِأحْسَـنَ مِنْها إذ دَنا الأصـلُ

ورويت: رِيَاضِ الحَزْنِ: وهو المرتفع من الأرض، ذكرها الطبري في تفسيره وغيره.

"بِالأَنْوَارِ"قال ابن منظور: النَّوْرُ والنَّوْرَةُ، جَمِيعًا: الزَّهْر، وَقِيلَ: النَّوْرُ الأَبيض وَالزَّهْرُ الأَصفر وَذَلِكَ أَنه يبيضُّ ثُمَّ يَصْفَرُّ، وَجَمْعُ النَّوْر أَنوارٌ. "لسان العرب" (٥/ ٢٤٣).

"فَاغِمَةً": قال ابن فارس: فغم: فغم الورد: تفتح، والريح الطيبة تفغم، أي: تفتح سدة الأنف، وأفغم الطيب المكان: ملأه بريحه، وفغم بكذا: أولع به وحرص عليه. "مجمل اللغة" (صـ: ٧٢٤). وفي "المعجم الوسيط"(٢/ ٦٩٦): (فغم) النُّور فغمًا وفغومًا تفتح. فالأرض تتزين بأزهارها وخضرتها ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ ﴾ يونس: ٢٤

وفي الحديث «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ». رواه مسلم (٢٧٤٢). عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المعنى: أنه كما أن الروض يتزين بالورود المتفتحة، والأزهار الجميلة فكذلك الحر يتزين بالعدل والإحسان ويزداد حسنا وجمالا وفضلا.

## صيانة الوجه

صُــنْ حُرَّ وَجْهِكَ لاَ تَهْتِكْ غِلاَلَتَهُ فَكُلُّ حُرٍّ لِحُرِّ الْوَجْهِ صَــوَّانُ

أي: احفظ حسن وجهك وجماله وبهائه ورونقه.

قوله: "لاَ تَهْتِكْ غِلاَلَتَهُ" الغِلالة: (الغلالة) ثوب رَقِيق يلبس تَحت الدثار (ج) غلائل. "المعجم الوسيط" (٢/ ٦٦٠).

فكل حر يصون وجهه ويحافظ على نضارته وجماله ولا يذل نفسه لأمر دنيوي.

والنضارة والإشراق تكون بالاستقامة والصلاح، وعزة النفس، والإحسان، وقيام الليل، وسماع العلم ونشره.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نَضَّرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، ثُمَّ بَلَّغَهَا عَنِّي، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ». رواه الترمذي (٢٣٦)، وغيره. وجاء عن عدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال بعضهم كما في "بهجة المجالس وأنس المجالس" (صـ: ٣٢):

تعفُّف المرء عن سؤاله وكسبه الحلّ باحتياله
وسعيه في الصلاح عيشٍ لمن يواريه من عياله
مروءةٌ وبالغٌ بها من يبلغها منتهى كماله
ومن يصن وجهه يزنه صيانة الوجه من جماله
رضي الفتى بالقضاء عزُّ وذلَّة الوجه في ابتذاله

قَالَ الْحَارِثُ الْمُحَاسِبِيُّ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ عَزِيزَةٌ أَوْ مَعْدُومَةٌ: حُسْنُ الْوَجْهِ مَعَ الصِّيَانَةِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ الدِّيَانَةِ، وَحُسْنُ الْإِخَاءِ مَعَ الْأَمَانَةِ. "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" (١١/ ٣٠٨)، و"تاريخ بغداد" ت بشار (٩/ ١٠٤)، وغيرها.

## البشر في وجه العدو

فَإِنْ لَقِيتَ عَدُوًا فَالْقَهُ أَبَدًا وَالْوَجْهُ بِالْبِشْرِ وَالإِشْرَاقِ غَضَّانُ

إذا لقيت عدوك فليكن بالبشر وطلاقة الوجه أبدا أي: دائما؛ لأن الانقباض والعبوس يزيد العداوة. "وَالإِشْرَاقِ" الإضاءة، و"غَضَّانُ": طري بشوش، وفائدة هذا تكف شره عنك، وقد يكون سببا للحفاوة ومعاتبته لنفسه ورجوعه عما كان عليه فيتحسن حاله.

عَنْ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: «بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ» فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَائِشَةُ، مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ». رواه البخاري (٦٠٣٢)، (٦٠٥٤)، (٦١٣١) ومسلم (٢٥٩١).

وجاء عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ، وَنَضْحَكُ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ». علقه البخاري في بَابُ الْمُدَارَاةِ مَعَ النَّاسِ. وليس عنده ذكر الضحك، ووصله البيهقي في "الشعب"(٧٧٤٩)، وأبو نعيم في "الحلية"(١/ ٢٢٢) والدينوري في "المجالسة وجواهر العلم"(١٠٨٧).

قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ –: وبالجملة، فالحديث لا أصل له مرفوعا، والغالب أنه ثابت موقوفا، والله أعلم. وانظر "الضعيفة"، (٢١٦، ٤٨٥٦).

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ –: قَوْله إِنا لَنكشر فِي وُجُوه قوم بِكَسْر الشين الكشر: ظُهُور الْأَسْنَان عِنْد التبسم. "فتح الباري لابن حجر" (١/ ١٧٩).

## الكسل من أسباب الشقاوة

دَعِ التَّكَاسُلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبُهَا فَلَيْسَ يَسْعَدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسْلاَنُ

اترك الكسل في طلب الخيرات وقد استعاذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، من الكسل في أحاديث كثيرة، فالكسلان تفوته السعادة والراحة.

والله تعالى أمر بالمسارعة والمسابقة والمنافسة وكل هذا يتنافى مع الكسل

﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ البقرة: ١٤٨

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٣

﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ المطففين: ٢٦.

وقد تقدم معنا الكلام في ذم الكسل في تائية الإلبيري.

ظلُك في تقواك

**لاَ ظِـلَّ لِلْـمَـرْءِ يَـعْـرَى مِـنْ تُـقَـىً وَنُـهَـىً وَإِنْ أَظَـلَّـتْـهُ أَوْرَاقٌ وَأَفْـنَـانُ**

"النُهى": العقل فمن تعرى من التقوى والعقل فلا ظل له لا عز له ولا منعة، وإن أظلته الأوراق والأفنان وهي: أغصان الشجر الجميلة.

فمن كان متنعما بأصناف النعم الدنيوية والرفاهية وخاليا من التقوى والعقل فلا عز له ولا منعه.

فالظل الحقيقي: هو الدين والتقوى فهو خير لباس وزاد.

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾الأعراف: ٢٦

﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ البقرة: ١٩٧

## عامة الناس تبع لدولتهم

**وَالـنَّـاسُ أَعْـوَانُ مَـنْ وَالَـتْـهُ دَوْلَـتُـهُ وَهُـمْ عَـلَـيْـهِ إِذَا عَـادَتْـهُ أَعْـوَانُ**

قال نقرة: العون إذا استعمل باللام يكون بمعنى المحبة وإذا استعمل بعلى فمعناه البغض.

" **مَنْ وَالَتْهُ دَوْلَتُهُ** "فمن أقبلت عليه الدنيا وانفتحت فالناس أعوان له، ويسارعون في خدمته.

"**وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ** "إذا تغير الأمر، وذهبت دنياه ينعكس الأمر، فهم أعوان عليه، أي: ضده.

وهكذا من كان عنده رئاسة ودولة، فمن تحته أعوانه له وفي خدمته ويتنافسون على ذلك، ومن أحبته الدولة أحبوه وتعاونوا معه، ومن أبغضته الدولة أبغضوه وعادوه وقاموا عليه، فيوالون من توالي الدولة ويبغضون من تبغضه الدولة.

وإذا انتهت دولته ورئاسته يذهب كل ذلك بل يعادونه ويقفون ضده

## ميزانُ الشخص عند عامة الناس

**"سَحْبَانُ" مِنْ غَيْرِمَالٍ "بَاقِلٌ" حَصِـرٌ وَ "بَـاقِـلٌ" فِي ثَرَاءِ المَالِ "سَـحْبَـانُ"**

"سَحْبَانُ" رجل من بلغاء العرب وشعرائهم ويضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة في بني وائل.

"بَاقِلٌ" رجل بليد لا يحسن البلاغة والفصاحة يقال من ربيعة.

قال حُميدٌ الأرقطُ يهجو ضيفًا له "الاشتقاق" (صـ: ٢٧٣):

أتانا وما ساواهُ سَحبانُ وائلٍ بيانًا وعِلْمًا بالذي هو قائلُ
فما زال عنه اللَّقْمُ حتَّى كأنَّه من العِيِّ لمَّا أنْ تكلَّمَ باقلُ

قَالَ اللَّيْثُ: بَلَغَ مِنْ عِيِّ بَاقِل أَنه كَانَ اشْتَرَى ظَبْيًا بأَحد عَشَرَ دِرْهمًا، فَقِيلَ لَهُ: بِكَم اشْتَرَيْتَ الظَّبْيَ؟ فَفَتَحَ كَفَّيْهِ وفرَّق أَصابعه وأَخرج لِسَانَهُ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلى أَحد عَشَرَ فَانْفَلَتَ الظَّبْيُ وَذَهَبَ فَضَرَبُوا بِهِ الْمَثَلَ فِي العِيّ.

والبَقْل: بَطْنٌ مِنَ الأَزْد وَهُمْ بَنُو بَاقِل. "لسان العرب" (١١/ ٦٢).

وقيل: وَكَانَ الظبى تَحت إبطه.

أي: لو كنت صاحب مال وكنت عيبا وعندك ما عندك من العيوب فإنك عند الناس كسحبان في البلاغة والفصاحة وكذلك العكس.

فالميزان عندهم المال، والنظرية عندهم وجود المال وعدمه.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ أَحْسَابَ أَهْلِ الدُّنْيَا الَّذِينَ يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ هَذَا الْمَالُ». رَوَاهُ أحمد (٢٢٩٩٠)، والنَّسَائِيّ (٣٢٢٥)، والحاكم (٢٦٨٩). وهو في "صحيح الجامع الصغير" (١٥٤٤).

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ -: فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ حَسَبُ مَنْ لَا حَسَبَ لَهُ فَيَقُومُ النَّسَبُ الشَّرِيفُ لِصَاحِبِهِ مَقَامَ الْمَالِ لِمَنْ لَا نَسَبَ لَهُ وَمِنْهُ حَدِيثُ سَمُرَةَ رَفَعَهُ (الْحَسَبُ الْمَالُ وَالْكَرَمُ التَّقْوَى)، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ هُوَ وَالْحَاكِمُ وَبِهَذَا الْحَدِيثِ تَمَسَّكَ مَنِ اعْتَبَرَ الْكَفَاءَةَ بِالْمَالِ، وَسَيَأْتِي فِي الْبَابِ الَّذِي بَعْدَهُ، أَوْ أَنَّ مِنْ شَأْنِ أَهْلِ الدُّنْيَا رِفْعَةَ مَنْ كَانَ كَثِيرَ الْمَالِ وَلَوْ كَانَ وَضِيعًا وَضِعَةَ مَنْ كَانَ مُقِلًّا وَلَوْ كَانَ رَفِيعَ النَّسَبِ كَمَا هُوَ موجود مُشَاهَدٌ. "فتح الباري" لابن حجر (٩/ ١٣٥).

وحديث سمرة في "صحح الجامع الصغير"(٣١٧٨). وحققها في "إرواء الغليل" (١٨٧٠).

لا تُعطِ سرك للمذياع

**لاَ تُوْدِعِ السّـــــرَّ وَشَّـــاءً يَبُوحُ بِـهِ فَـمَـا رَعَى غَـنَـمـاً فِي الـدَّوِّ سِــرْحَـانُ**

أودعه إذا دفعه إليه وديعة، وشاء من الوشي.

وفي "جمهرة اللغة" (١/ ٢٣٩). وشى الرجل بِالرجلِ يشي وشيا وَهُوَ واش إِذا سعى بِهِ أَو ذكره بقبيح. وشى به إِلى السلطان سعى به، فهو مذياع للكلام.

بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: بَابُ حِفْظِ السِّرِّ وذكر فيه حديث أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ سِرًّا، فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَهُ، وَلَقَدْ سَأَلَتْنِي أُمُّ سُلَيْمٍ فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ».

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: السر أمانة وحفظه واجب، وذلك من أخلاق المؤمنين. قال المهلب: والذي عليه أهل العلم أن السر لا يباح به إذا كان على المسر فيه مضرة، وأكثرهم يقول: إنه إذا مات المسر فليس يلزم من كتمانه ما يلزم في حياته إلا أن يكون عليه فيه غضاضة في دينه.

وقال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: قُلْتُ: الَّذِي يَظْهَرُ انْقِسَامُ ذَلِكَ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى مَا يُبَاحُ وَقَدْ يُسْتَحَبُّ ذِكْرُهُ وَلَوْ كَرِهَهُ صَاحِبُ السِّرِّ كَأَنْ يَكُونَ فِيهِ تَزْكِيَةٌ لَهُ مِنْ كَرَامَةٍ أَوْ مَنْقَبَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ وَإِلَى مَا يُكْرَهُ مُطْلَقًا وَقَدْ يحرم وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ بن بَطَّالٍ وَقَدْ يَجِبُ

كَأَنْ يَكُونَ فِيهِ مَا يَجِبُ ذِكْرُهُ كَحَقٍّ عَلَيْهِ كَانَ يُعْذَرُ بِتَرْكِ الْقِيَامِ بِهِ فَيُرْجَى بَعْدَهُ إِذَا ذُكِرَ لِمَنْ يَقُومُ بِهِ عَنْهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ. "فتح الباري" لابن حجر (١١/ ٨٢).

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ كما في "أدب الدنيا والدين" (صـ: ٣٠٩):

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانِ مَا اشْتَمَلَتْ ... مِنِّي الضُّلُوعُ عَلَى الْأَسْرَارِ وَالْخَبَرِ

لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سَرَائِرَهُ ... إِذَا كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرِ

وَحُكِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ تَذَاكَرَ النَّاسُ فِي مَجْلِسِهِ حِفْظَ السِّرِّ فَقَالَ ابْنُهُ:

وَمُسْتَوْدَعِي سِرًّا تَضَمَّنْتُ سِرَّهُ ... فَأَوْدَعْتُهُ مِنْ مُسْتَقَرِّ الْحَشَى قَبْرَا

وَلَكِنَّنِي أُخْفِيهِ عَنِّي كَأَنَّنِي ... مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا مَا أَحَطْتُ بِهِ خُبْرَا

وَمَا السِّرُّ فِي قَلْبِي كَمَيْتٍ بِحُفْرَةٍ ... لِأَنِّي أَرَى الْمَدْفُونَ يَنْتَظِرُ النَّشْرَا

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: رأيت أكثر الناس لا يتمالكون من إفشاء سرهم، فإذا ظهر، عاتبوا من أخبروا به. فواعجبًا! كيف ضاقوا بحبسه ذرعًا، ثم لاموا من أفشاه؟!...ولعمري، إن النفس يصعب عليها كتم الشيء، وترى بإفشائه راحة، خصوصًا إذا كان مرضًا أو همًّا أو عشقًا... وكم قد سمعنا من يحدث عن الملوك بالقبض على صاحب، فنم الحديث إلى الصاحب، وهرب، ففات السلطان مراده! وإنما الرجل الحازم الذي لا يتعداه سره، ولا يفشيه إلى أحد.... "صيد الخاطر" (صـ: ٢٧٣).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الحَدِيثَ ثُمَّ التَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ». رواه الترمذي(١٩٥٩)، وابن أبي الدنيا في "الصمت (صـ: ٢١٣). وهو في "الصحيحة"(١٠٩٠).

قال أكثم بن صيفي رَحِمَهُ اللَّهُ –: إن سرّك من دمك، فانظر أين تريقه. "الآداب الشرعية"(٢/ ٢٦٨)

كان يقال: احفظوا أسراركم كما تحفظون أبصاركم وكان يقال: أكثر ما يتم به التدبير الكتمان. "بهجة المجالس وأنس المجالس" (صـ: ١٠٠). لابن عبد البر.

**فَلا يَسمعنْ سرِّي وسِرَّكِ ثالثٌ ... ألا كلُّ سرٍّ جاوزَ اثنينِ شائعُ**

وقال آخر:

**كل سر جاوز الإثنين شاع ... كل علم ليس في القرطاس ضاع**

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ –: القلوب أوعية والشفاه أقفالها والألسن مفاتيحها. فليحفظ كل إنسان مفتاح سره. "سراج الملوك" (صـ: ١٠٣). للطرطوشي.

وَقَالَ الْحُكَمَاءُ: ثَلَاثَةٌ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهَا: شُرْبُ السُّمِّ لِلتَّجْرِبَةِ، وَإِفْشَاءُ السِّرِّ إلَى الْقَرَابَةِ وَالْحَاسِدِ وَإِنْ كَانَ ثِقَةً، وَرُكُوبُ الْبَحْرِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ غِنًى.

وَقَدْ قِيلَ: لَا تُطْلِعُوا النِّسَاءَ عَلَى سِرِّكُمْ يَصْلُحُ لَكُمْ أَمْرُكُمْ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ عَلَى الْعَاقِلِ كِتْمَانَ السِّرِّ، وَاَللَّهُ وَلِيُّ الْأَمْرِ. "غذاء الألباب "(١/ ١١٧).

## حفظ السر

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: إِنَّ مِنَ الْخِيَانَةِ أَنْ تُحَدِّثَ بِسِرِّ أَخِيكَ. "الصمت" لابن أبي الدنيا (٤٠٤)، قال حدثنا ابْنُ جَمِيلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا الْمُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ، عَنِ الْحَسَنِ فذكره. ومبارك، قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: صدوق يدلس ويسوي. "تقريب التهذيب" (صـ: ٥١٩)

وقال أَحْمَدُ بنُ حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: ما روى عن الْحَسَن يحتج بِهِ. "تهذيب الكمال" (٢٧/ ١٨٥)، وقال بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: كنا نتبع من حديث مبارك ما قال فيه حدثنا الحسن. "التهذيب"(١٠/ ٣١)، عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا». رواه مسلم(١٤٣٧). وفي رواية له: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وبوب عليه النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: بَابُ تَحْرِيمِ إِفْشَاءِ سِرِّ الْمَرْأَةِ. وعنده أيضاً عن ثابت عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا قَالَ أَنَسٌ: وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ. رواه مسلم (٢٤٨٢).

قوله: "فَمَا رَعَى غَنَماً فِي الدَّوِّ سِرْحَانُ". "الدَّو": الصحراء.

و"السِرحان": اسم من أسماء الذئب، فهل يتصور أن السرحان ترعى الغنم في الصحراء لا بل سيهجم عليها ويأكلها فهكذا السر عند الوشاء لا يحفظه كما لا يحفظ الذئب الغنم.

## طبائع الناس مختلفة

**لاَ تَحْسَبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِداً فَلَهُمْ غَرَائِزٌ لَسْتَ تُحْصِيهِنَّ أَلْوَانُ**

لا تظن الناس على طبع واحد والطبع: السجية التي جبل عليها الإنسان.

" فَلَهُمْ غَرَائِزٌ": أي سجايا وطبائع لست تحصيهن. "أَلْوَانُ" أي: أنواع.

فمعنى هذا طبائع الناس مختلفة فلا تظن بأن طباعهم متحدة متفقة على طبع واحد.

**يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ**

جاء حديث (إذا سمعتم بِجَبَلٍ زال عن مكانِهِ فصدقوا وإذا سمعتم برجلٍ زال عن خُلُقِهِ فلا تُصَدِّقُوا فإنه يصيرُ إلى ما جُبِلَ عليه). من طريق الزهري عن أبي الدرداء مرفوعًا، وهو منقطع. أخرجه أحمد (٢٧٥٣٩). وهو في "ضعيف الجامع "(٥٥٥).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ فَذَكَرَ الْقَوْمُ رَجُلًا فَذَكَرُوا مِنْ خُلُقِهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ قَطَعْتُمْ رَأْسَهُ أَكُنْتُمْ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُعِيدُوهُ؟» قَالُوا: لَا: قَالَ: «فَيَدَهُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَرِجْلَهُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُغَيِّرُوا خُلُقَهُ حَتَّى تُغَيِّرُوا خَلْقَهُ، إِنَّ النُّطْفَةَ لَتَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ تَنْحَدِرُ دَمًا، ثُمَّ تَكُونُ عَلَقَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُضْغَةً، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ، وَخُلُقَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ». رواه الطبراني في "الكبير "(٨٨٨٤)، والبيهقي في "القضاء والقدر"(٤٧٩)، وهناد في "الزهد" (٢/ ٥٩٩)، وابن بطة في "الإبانة الكبرى"(١٤٢٥). وحسنه الألباني رحمه الله في "صحيح الأدب المفرد".

وقد يجبل الإنسان على الأخلاق الطيبة ففي مسلم

وَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ ». عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهذه اللفظة في "مسلم"(١٧)، و(١٨).

وقد قَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا، وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ». عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه مسلم (٢٦٣٨).

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقِهُوا». رواه البخاري(٣٤٩٣)، ومسلم(٢٥٢٦).

## لا يستوي الماء ولا الشجر

مَـا كُـلُّ مَـاءٍ كَصَـــدَّاءٍ لِـوَارِدِهِ نَـعَـمْ وَلاَ كُـلُّ نَـبْـتٍ فَـهْـوَ سَـــعْـدَانُ

الماء يختلف في عذوبته وطعمه وصفائه فليس كل ماء كصداء والصداء: عين عذبة ليس لها مثل في العذوبة.

وفي "تهذيب اللغة (١٢/ ١٥٤): صَدّاء: رَكِيَّةٌ لَيْسَ عِنْدهم ماءٌ أَعذب من مَائِهَا؛ وفيهَا يَقُول ضِرارُ بن عَمرو السَّعْدِيّ:

وَإِنّي وتَهْـيَـامِي بـزيـنـبَ كَـالَّـذي يُطالب من أَحْواضِ صدَّاءَ مَشربَا

معنى هذا البيت: يريد أنه لا يَصِلُ إليها إلا بالمُزَاحمة لفَرْط حسنها كالذي يَرِدُ هذا الماء فإنه يزاحم عليه لفَرط عذوبته. "مجمع الأمثال" (٢/ ٢٧٧).

"وَفِي الْمَثَلِ: مَاءٌ وَلَا كَصَدَّاءَ" "مختار الصحاح" (صـ: ١٧٤).

قال أبو منصور الثعالبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: وَمن أَمْثَال الْعَرَب مَاء وَلَا كصداء أي: هَذَا مَالا بَأْس بِهِ وَلَكِن لَيْسَ كَمَاء صداء يضْرب لما يحمد بعض الْحَمد ويفضل عَلَيْهِ غَيره كَمَا يُقَال مرعى وَلَا كالسعدان. "ثمار القلوب في المضاف والمنسوب" (صـ: ٥٦٠).

و"الورود": الحضور.

و"سَعْدَانُ" السعدان: مرعى من أفضل المراعي وهو مرعى للإبل.

وفي" لسان العرب" لابن منظور (٣/ ٢١٦): وَسُئِلَتِ امرأَة تَزَوَّجَتْ عَنْ زَوْجِهَا الثَّانِي: أَين هُوَ مِنَ الأَول؟ فَقَالَتْ: مَرْعًى وَلَا كَالسَّعْدَانِ، فَذَهَبَتْ مَثَلًا، وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْمَثَلِ أَن السَّعْدَانَ مِنْ أَفضل مَرَاعِيهِمْ.

والمعنى: الناس ليس على طبع وخلق واحد بل يختلفون كما أنه ليس كل ماء عذب ولا كل نبت مفضل المرعى وكذلك الناس.

قال أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: ومن أمثالهم في هذا قولهم: مرعى ولا كالسعدان ومثله: ماء ولا كصداء. يضرب للرجل يحمد شانه، ثم يصير إلى آخر أكثر منه وأعلى. وحكي عن المفضل إنّه كان يخبر عن هذين المثلين بحديثهما فقال: الأول منهما لامرأة من طيء، كان تزوجها امرؤ القيس بن حجر الكندي، وكان مفركاً فقال لها: أين أنا من زوجك الأول فقالت: " مرعى ولا كالسعدان " أي إنك وإنَّ كنت رضاً فلست كفلان. والمثل الآخر للقذور بنت قيس بن خالد الشيباني، وكانت زوجة لقيط بن زرارة التميمي، ثم تزوجها من بعده رجل من قومها، فقال لها يوما: أنا أجمل أم لقيط؟ فقالت: " ماء ولا كصداء " أي أنت جميل ولست مثله. "الأمثال" لابن سلام (صـ: ١٣٥).

والقَذور أول من تمثلت بهذا المثل. "الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة" (١/ ٣٠٩).

## المماطلة في معروفك خدش فيك

لاَ تَخْدِشَنَّ بِمَطْلٍ وَجْهَ عَارِفَةٍ فَالْبِرُّ يَخْدِشُهُ مَطْلٌ وَلَيَّانُ

أي: لا تشوه وتجرح وجه معروفك وإحسانك بالمماطلة إذا وعدت شخصا بعارفة: والمراد بها المعروف. فالبر أي: الإحسان يخدشه: يمزقه ويذهب به المماطلة والتأخير، ولَيَّان بمعناه.

وفي الحديث عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ، وَعُقُوبَتَهُ».

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: «يُحِلُّ عِرْضَهُ يُغَلِّظُ لَهُ، وَعُقُوبَتَهُ يُحْبَسُ لَهُ». رواه أبو داود(٣٦٢٨)، وابن ماجه(٢٤٢٧). وحسنه الألباني في "صحيح الجامع الصغير" (٥٤٨٧).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ –: وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ فِي غَيْرِ مُسْلِمٍ( لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ) اللَّيُّ بِفَتْحِ اللَّامِ وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ وَهُوَ الْمَطْلُ وَالْوَاجِدُ بِالْجِيمِ الْمُوسِرُ قَالَ الْعُلَمَاءُ: يُحِلُّ عِرْضَهُ بِأَنْ يَقُولَ ظَلَمَنِي وَمَطَلَنِي وَعُقُوبَتُهُ الْحَبْسُ وَالتَّعْزِيرُ. "شرح النووي على مسلم" (١٠/ ٢٢٧)، (١٥٦٤).

## مشاورة الأمين اليقظ

لاَ تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَدْبٍ حَازِمٍ يَقِظٍ قَدِ اسْتَوَى فِيهِ إِسْرَارٌ وَإِعْلاَنُ

الاستشارة: المشاورة وطلبها؛ لأن مادة السين والتاء تدل على الطلب.

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: (نَدَبَ) النُّونُ وَالدَّالُ وَالْبَاءُ ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ: إِحْدَاهَا الْأَثَرُ، وَالثَّانِيَةُ الْخَطَرُ، وَالثَّالِثَةُ تَدُلُّ عَلَى خِفَّةٍ فِي شَيْءٍ... وَالْأَصْلُ الثَّالِثُ رَجُلٌ نَدْبٌ: خَفِيفٌ. "مقاييس اللغة" (٥/ ٤١٣).

"الحازم": من الحزم. قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: الحَزْمُ ضَبْط الرجُل أمرَه والحَذَرُ مِنْ فَواته، مِنْ قَوْلِهِمْ: حَزَمْتُ الشَّيْءَ: أَيْ شَدَدْتُه. "النهاية" (١/ ٣٧٩).

"يقظ": قال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: رجُل يقُظ ويقِظٌ، إِذا كَانَ متيقظاً، وَقد تيقظ لِلْأَمْرِ: إِذا تنبَّه لَهُ. وَقد يقظتْه التجارب. "تهذيب اللغة" (٩/ ٢٠٢).

وقال الجوهري: رجلٌ يَقِظٌ ويَقُظٌ، أي متيقّظٌ حذرٌ. "الصحاح"(٣/ ١١٨١).

### أوصاف المستشار التي ذكرها الناظم

الأولى: أن يكون خفيفًا مبادرًا غير متثاقل ولا كسلان.

الثانية: أن يكون حازمًا قويًا ضابطًا للأمور حريصًا.

الثالثة: أن يكون يقظاً صاحب نباهة وتفكر وتجارب.

الرابعة: أن يكون أمينًا صادقًا يستوي معه السر والعلانية فلا يظهر لك خلاف ما يبطن.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَصِفَةُ المستشار إن كان في الأحكام أن يَكُونَ عَالِمًا دَيِّنًا، وَقَلَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي عَاقِلٍ. قَالَ الْحَسَنُ: مَا كَمُلَ دِينُ امْرِئٍ مَا لَمْ يَكْمُلْ عَقْلُهُ. فَإِذَا اسْتُشِيرَ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ وَاجْتَهَدَ فِي الصَّلَاحِ وَبَذَلَ جَهْدَهُ فَوَقَعَتِ الْإِشَارَةُ خَطَأً فَلَا غَرَامَةَ عَلَيْهِ، قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ. الْخَامِسَةُ–وَصِفَةُ الْمُسْتَشَارِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا مُجَرِّبًا وَادًّا فِي الْمُسْتَشِيرِ. "تفسير آل عمران آية ١٩٥"

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران: ١٥٩

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَالشُّورَى مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ وَعَزَائِمِ الْأَحْكَامِ، مَنْ لَا يَسْتَشِيرُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ فَعَزْلُهُ وَاجِبٌ. هَذَا مَا لَا خِلَافَ فِيهِ. وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الشورى: ٣٨ قَالَ أَعْرَابِيٌّ: مَا غُبِنْتُ قَطُّ حَتَّى يُغْبَنَ قومي، قيل: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ لَا أَفْعَلُ شَيْئًا حَتَّى أُشَاوِرَهُمْ. "تفسير القرطبي" آية١٥٩ من آل عمران.

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ:

شَاوِرْ صَدِيقَكَ فِي الْخَفِيِّ الْمُشْكِلِ ... وَ اقْبَلْ نَصِيحَةَ نَاصِحٍ مُتَفَضِّلِ

فَاللَّهُ قَدْ أَوْصَى بِذَاكَ نَبِيَّه ... فِي قَوْلِه: (شَاوِرْهُمْ) و (فَتَوَكَّلْ)

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ النمل: ٣٢

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: قَالَت هَذَا على طَرِيق الاستشارة؛ لِأَنَّهَا علمت أَن ملك سُلَيْمَان أعظم من ملكهَا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَالْمُشَاوَرَةُ مِنَ الْأَمْرِ الْقَدِيمِ وَخَاصَّةً فِي الْحَرْبِ، فَهَذِهِ بِلْقِيسُ امْرَأَةٌ جَاهِلِيَّةٌ كَانَتْ تَعْبُدُ الشَّمْسَ ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ لِتَخْتَبِرَ عَزْمَهُمْ عَلَى مُقَاوَمَةِ عَدُوِّهِمْ، وَحَزْمَهُمْ فِيمَا يُقِيمُ أَمْرَهُمْ، وَإِمْضَائَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ لَهَا...الخ.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: أي: ما كنت مستبدة بأمر دون رأيكم ومشورتكم.

والأدلة من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة كثيرة.

## لكل ميدانٍ فرسانٌ

**فللتَّدَابِيرِ فُرْسَانٌ إِذَا رَكَضُوا فِيهَا أَبَرُّوا كَمَا للحَرْبِ فُرْسَانُ**

"التدبير": قال أبو هلال العسكري: التَّدْبِير هُوَ تَقْوِيم الْأَمر على مَا يكون فِيهِ صَلَاح عاقبته. "الفروق اللغوية" للعسكري (صـ: ١٩١).

قال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: الرَكْضُ: تحريكُ الرجل. "الصحاح" (٣/ ١٠٧٩).

قَالَ اللَّيْث رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: الرّكْضُ: مِشْيَةُ الرجل بالرِّجلين مَعًا. كما في "تهذيب اللغة" (١٠/ ٢٤). أَبَرُّوا: فازوا بحسن رأيهم ومشورتهم.

"والفرسان": المحاربون على ظهر الخيل.

والمعنى: لا تظن بأن أهل التدابير انعدموا، وأهل الاستشارة افتقدوا، بل هناك فرسان في هذا الميدان لهم تجارب، وحسن تدابير، وأهل مشورة إذا تحركوا فيها أبروا وأحسنوا، كما أن للحرب رجال فرسان إذا خاضوا غمارها ودخلوا ميدانها يتغلبون على أعدائهم، ويستشار في كل أمر أهله ومن لهم به معرفة ومكنة.

كل أمر له وقت وحد

وَلِلأُمُورِ مَوَاقِيتٌ مُقَدَّرَةٌ وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ

"المواقيت" جمع ميقات: وهو الوقت. وحد الشيء غايته ومنتهاه.

فكما يقال: لكل مقام مقال. ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه

وفي صحيح البخاري لما أراد أن يقوم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشية عرفة في حجة حجها ويذكر بعض الأمور المتعلقة بالإمارة، فقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن عوف: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لاَ تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ المَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ وَغَوْغَاءَهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطَيِّرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ، وَأَنْ لاَ يَعُوهَا، وَأَنْ لاَ يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا، فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدَمَ المَدِينَةَ، فَإِنَّهَا دَارُ الهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ، فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ، فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا، فَيَعِي أَهْلُ العِلْمِ مَقَالَتَكَ، وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا.

فَقَالَ عُمَرُ: أَمَا وَاللَّهِ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ -لَأَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ. (٦٨٣٠)، (٧٣٢٣).

وكما قيل:

لِكُلِّ شَيءٍ في الحَياةِ وَقتُهُ وَغايَةُ المُستَعجِلينَ فَوتُهُ

فلا بد أن تكون الأمور مضبوطة الأوقات فلا يتقدم ولا يتأخر وأن تكون موزونة مقدرة، سواء فيما تعمل أو تقول أو تطلب.

## العجلة مذمومة

فَـلاَ تَـكُـنْ عَـجِـلًا بِـالأَمْـرِ تَـطْـلُـبُـهُ فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ النُّضْـجِ بُحْرَانُ

أي: لا تستعجل فيما تطلب من الأمور ولقد أحسن القائل:

قَـدْ يُـدْرِكُ الْمُتَـأَنِّي بَعْضَ حَـاجَتِـهِ وَقَـدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْـتَعجِلِ الزَّلَـلُ

وَرُبَّمَـا فَـاتَ قَـوْمًـا بَـعْـضَ أَمْـرِهِـمْ مِنَ التَّـأَنِّي وَكَانَ الْحَزْمُ لَوْ عَجَلُوا

"تاريخ الإسلام" ت تدمري (٧/ ٢٢٤).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ ». رواه البيهقي في "السنن الكبرى"(٢٠٢٧٠)، و"الشعب"(٤٠٥٨). وأبو يعلى في "مسنده"(٤٢٥٦)، وحسنه الألباني في "الصحيحة"(١٧٩٥).

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ الْعَجَلَةُ فِي الْفَتْوَى نَوْعٌ مِنْ الْجَهْلِ وَالْخُرْقِ وَكَانَ يُقَالُ التَّأَنِّي مِنْ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنْ الشَّيْطَانِ. "الآداب الشرعية"(٢/ ٦٢).

قال الشاعر:

لا تَعْجلَنَّ فَلَيْسَ الرزْقُ بـالعَجَـلِ الرِّزْقُ في اللوح مَكتُوبٌ مَعَ الأجَـلِ

فَلَوْ صَـبَرْنا لَكَان الرِزْق يَطْلُبُنَا لَكِنَّـهُ خُلِقَ الإنســانُ مِن عَجَـلِ

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ –: والعجلة طلب أَخذ الشَّيْء قبل وقته فَهُوَ لشدَّة حرصه عَلَيْهِ بِمَنْزِلَة من يَأْخُذ الثَّمَرَة قبل أَوَان إِدْرَاكهَا كلهَا فالمبادرة وسط بَين خلقين مذمومين أَحدهمَا: التَّفْرِيط والإضاعة، وَالثَّانِي: الاستعجال قبل الْوَقْت؛ وَلِهَذَا

كَانَت العجلة من الشَّيْطَان فَإِنَّهَا خفَّة وطيش وحدة فِي العَبْد تَمنعهُ من التثبت وَالْوَقار والحلم وتوجب لَهُ وضع الْأَشْيَاء فِي غير موَاضعهَا وتجلب عَلَيْهِ أنواعا من الشرور وتمنعه أنواعا من الْخَيْر وَهِي قرين الندامة، فَقل من استعجل إِلَّا نَدم كَمَا أَن الكسل قرين الْفَوْت والإضاعة. "الروح" (صـ: ٢٥٨).

ومما يذكر في ذلك التأني وعدم العجلة في الفتن والأمور المشتبهة وخبر الفاسق

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ الحجرات: ٦ وأهل التفسير يذكرون عند هذه الآية التثبت وذم العجلة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في تفسيره: يَأْمُرُ تَعَالَى بِالتَّثَبُّتِ فِي خَبَرِ الْفَاسِقِ لِيُحتَاطَ لَهُ، لِئَلَّا يُحْكَمَ بِقَوْلِهِ فَيَكُونَ –فِي نَفْسِ الْأَمْرِ–كَاذِبًا أَوْ مُخْطِئًا، فَيَكُونَ الْحَاكِمُ بِقَوْلِهِ قَدِ اقْتَفَى وَرَاءَهُ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنِ اتِّبَاعِ سَبِيلِ الْمُفْسِدِينَ، وَمِنْ هَاهُنَا امْتَنَعَ طَوَائِفُ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ قَبُولِ رِوَايَةِ مَجْهُولِ الْحَالِ؛ لِاحْتِمَالِ فِسْقِهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَقَبِلَهَا آخَرُونَ؛ لِأَنَّا إِنَّمَا أُمِرْنَا بِالتَّثَبُّتِ عِنْدَ خَبَرِ الْفَاسِقِ، وَهَذَا لَيْسَ بِمُحَقَّقِ الْفِسْقِ؛ لِأَنَّهُ مَجْهُولُ الْحَالِ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وهذا أيضًا، من الآداب التي على أولي الألباب، التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه

مجردًا، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال، بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كذب، ولم يعمل به، ففيه دليل، على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب، مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا، ولهذا كان السلف يقبلون روايات كثير من الخوارج، المعروفين بالصدق، ولو كانوا فساقًا.

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في التبين: ترك العجلة، والتدبر والتأني فِي الْأَمر.

"والإصابة": وَمعنى الْإِصَابَة هَاهُنَا: هُوَ الْإِصَابَة من الدَّم وَالْمَال بِالْقَتْلِ والأسر والاغتنام.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، فَعَلَيْكُمْ بِالتُّؤَدَةِ، فَإِنَّكَ أَنْ تَكُونَ تَابِعًا فِي الْخَيْرِ، خَيْرًا مِنْ أَنْ تَكُونَ رَأْسًا فِي الشَّرِّ». رواه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٣٧١٨٨)، والبيهقي في "الشعب"(٩٨٨٦) وابن بطة في "الإبانة الكبرى"(١٧٦) وابن وضاع في "البدع"(٢٣١)، عَنْ خَيْثَمَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ، فذكره. وخيثمة، قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: لم يسمع من عبد الله بن مسعود شيئا إنما روى عن الأسود عن عبد الله وكذلك قال أبو حاتم أيضا. "جامع التحصيل" (صـ: ١٧٣).

## التأني وعدم العجلة من أخلاق النبوة وجزء من أجزائها

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «التُّؤَدَةُ وَالِاقْتِصَادُ وَالسَّمْتُ الْحَسَنُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ». رواه الطبراني في "الأوسط"(١٠١٧)، وعبد بن حميد في "المنتخب"(٥١٢)، وصححه الألباني "صحيح الجامع الصغير"(٣٠١٠). وجاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رواه أحمد (٢٦٩٨)، والقضاعي "مسند الشهاب" (٣٠٦)، وابن الأعرابي في "معجمه" (٣٤٠) و(١٣٦).

وجاء عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لَا تَكُونُوا عُجُلًا مَذَايِيعَ بُذُرًا، فَإِنْ مِنْ وَرَائِكُمْ بَلَاءً مُبَرِّحًا مُمْلِحًا، وَأُمُورًا مُتَمَاحِلَةً رُدُحًا. أخرجه البخاري في "الأدب المفرد"(٣٢٧)، وصححه الألباني في "صحيح الأدب المفرد" وفي لفظ: (مُبَرِّحًا مُكلحاً ). بُذُرا: لا يكتم السر. مبرحا: الشدة والعذاب الشديد والمشقة.

مكلحا: الكلوح العبوس لشدة الفتن. متماحلة: المتماحل من الرجال: الطويل.

رُدحا: الجمل المثقل حملا. والمراد ستأتي فتن عظيمة ثقيلة شديدة.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «قُولُوا خَيْرًا تُعْرَفُوا بِهِ، وَاعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ، وَلَا تَكُونُوا عُجُلًا مَذَايِيعَ بُذُرًا». رواه ابن أبي شيبة في "مصنفه"(٣٤٥٤٠)، وابن المبارك في "الزهد والرقائق" (١٤٣٨)، وأبو داود في "الزهد"(١٤٦)، والبيهقي في "الشعب"(٩٢٢٤)، ووكيع في "الزهد"(٢٦٧)، وهناد بن السري في "الزهد (٢/ ٥٤٣)، وغيرهم، من طريق زبيد اليامي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ –: زُبَيْدٌ مَعْدُودٌ فِي صِغَارِ التَّابِعِينَ، وَلا أَعْلَمُ لَهُ شَيْئًا عَنِ الصَّحَابَةِ. "تاريخ الإسلام" ت بشار (٣/ ٤١٠)، وقال العلائي رَحِمَهُ اللَّهُ –: وذكره ابن المديني فيمن لم يلق أحدا من الصحابة. "جامع التحصيل" (صـ: ١٧٦). وأخرجه الهروي

في "ذم الكلام"(١١٣)، من طريق أخرى، وفيها يزيد بن الوليد، سكت عنه ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل"، والبخاري في "التاريخ الكبير"، وذكره ابن حبان في "الثقات".

## التغير المفاجئ

"فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ النُّضْجِ بُحْرَانُ"

في "تاج العروس" (١٠/ ١٢١). (وبُحْرَانُ المَرِيضِ)، بالضَّمِّ، (مُولَّدٌ)، وَهُوَ عِنْد الأَطِبَّاءِ التَّغَيُّرُ الّذي يَحْدُثُ للعَلِيلِ دَفْعَةً فِي الأَمراضِ الحادَّةِ.

وفي "معجم اللغة العربية المعاصرة" (١/ ١٦٣). البُحْران: (طب) تغيّر مفاجئ يحدث لمريض الحُمّى الحادّة، يصحبه عرق غزير وانخفاض سريع في درجة الحرارة.ا.هـ. "النُّضْج": الاكتمال.

فالتحول السريع قبل النضج غير محمود عند الأطباء كان مريضا وفجأة قام مباشرة، فقد يحصل من وراء ذلك هلاك وحين يتحسن المريض فجأة من شدة المرض يقال عافية الموت؛ فالعجلة في كل شيء مذمومة وقد تكون مهلكة.

قال البحتري:

**إذَا مَا الجُرْحُ رُمَّ عَلى فَسادٍ ... تَبَيَّنَ فِيهِ تفريطُ الطَّبِيبِ**

قال المتنبي:

**فإن الجرح يَنْفِرُ بعد حينٍ ... إذا كان البناء على فساد**

"الوساطه بين المتنبي وخصومه ونقد شعره "(صـ: ٢٩٢).

## يكفيك ما سد حاجتك

كَفَى مِنَ الْعَيْشِ مَا قَدْ سَدَّ مِنْ عَوَزٍ فَفِيهِ لِلحُرِّ إِنْ حَقَّقتَ غُنْيَانُ

نظير هذه الأبيات قول ابن الوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –:

مُلكُ كسرى عنهُ تُغني كِسرةٌ وعنِ البحرِ اجتزاءٌ بالوَشَلْ

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ –:

عيشةُ الرَّاغبِ في تحصيلِها عيشةُ الجاهلِ فيها أو أقلْ

المعنى: يكفي من القوت "ما يسد من عوز" أي: من حاجة.

قوله: "فَفِيهِ لِلحُرِّ إِنْ حَقَّقتَ غُنْيَانُ" فهذا الذي يسد من العوز ففيه للحر غنية وكفاية "إِنْ حَقَّقتَ": في الحقيقة عند التأمل والنظر.

عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا». رواه الترمذي(٢٣٤٦)، وابن ماجه(٤١٤١)، وغيرهم. وجاء عن أبي الدرداء وابن عمر وعلي رضي الله عنهم، وحسنه الألباني رحمه الله في "الصحيحة"(٢٣١٨).

وهكذا من جميع أمور الدنيا يكفيك منها ما سد حاجتك وكفاك، وأغناك عن غيرك.

## القناعة طريق السعادة

**وَذُو الْقَنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ وَصَاحِبُ الحِرْصِ إِنْ أَثْرَى فَغَضْبَانُ**

صاحبُ القناعة مطمئن مستريح النفس مقتنع بما يسر الله له القوت فهو راض بما قسم الله تعالى، بخلاف الحريص الهلوع وإن كان ثريًا فلا يزال يطلب الزيادة وغير مقتنع ولا مكتفي بما يسر الله له بل هو غضبان.

والقناعة: دليل الفلاح ومادة العفاف، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ». رواه مسلم (١٠٥٤).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ -: الْكَفَافُ الْكِفَايَةُ بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ.

وقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الرِّضَى بِالْكَفَافِ يُؤَدِّي إِلَى الْعَفَافِ. "أدب الدنيا والدين" (صـ: ٢٢٧).

وجاء عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنِعَ». رواه أحمد (٢٣٩٤٤)، والترمذي (٢٣٤٩)، وغيرهم، وصححه الألباني في "الصحيحة"(١٥٠٦).

ولابن السني كتابا مسندا اسماه "القناعة" ولابن أبي الدنيا "القناعة والتعفف"

**هِيَ الْقَنَاعَةُ لَا تَبْغِي بِهَا بَدَلًا فِيهَا النَّعِيمُ وَفِيهَا رَاحَةُ الْبَدَنِ**

وَعَنْ سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ». رواه مسلم (٢٩٦٥).

قال أَبُو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ –: القناعة تكون بالقلب فمن غني قلبه غنيت يداه ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه ومن قنع لم يتسخط وعاش آمنا مطمئنا ومن لم يقنع لم يكن له في الفوائت نهاية لرغبته والجد والحرمان كأنهما يصطرعان بين العباد. "روضة العقلاء"(صـ: ١٥١).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ –: اعْلَم أَن صَاحب القناعة هُوَ الْغَنِيّ وَلَيْسَ بالكثير المَال؛ فَإِن الْغنى غنى النَّفس، وَالْإِشَارَة بالخفي إِلَى خمول الذّكر، وَالْغَالِب على الخامل السَّلامَة. "كشف المشكل"(١/ ٢٤٨).

"وَصَاحِبُ الحِرْصِ إِنْ أَثْرَى فَغَضْبَانُ"، الحريص إن أثرى، أي: كثر ماله وزاد.

الغنى ليس بكثرة الأموال، فكم من غني تراه، وكأنه من أفقر الناس هلوع شحيح يشكو ويخاف الإملاق، وربما يحسد الفقير على الخبز اليابس، فحقيقة الغنى هو: غنى النفس، وليس بكثرة المال.

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ». رواه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَيْبَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: الشَّرَفُ فِي التَّوَاضُعِ. وَالْعِزُّ فِي التَّقْوَى. وَالْحُرِّيَّةُ فِي الْقَنَاعَةِ.ا.هـ. "تاريخ الإسلام" ت تدمري (٢٥/ ١٤٦).

أصل العقل التثبت، وثمرته السلامة، وأصل الورع القناعة، وثمرته الظفر. "الأدب الصغير والأدب الكبير" (صـ: ٤٥) لعبد الله بن المقفع.

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَالْقَنَاعَةُ قَدْ تَكُونُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ. فَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَقْنَعَ بِالْبُلْغَةِ مِنْ دُنْيَاهُ، وَيَصْرِفَ نَفْسَهُ عَنْ التَّعَرُّضِ لِمَا سِوَاهُ. وَهَذَا أَعْلَى مَنَازِلِ الْقَنَاعَةِ...

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ تَنْتَهِيَ بِهِ الْقَنَاعَةُ إلَى الْكِفَايَةِ، وَيَحْذِفُ الْفُضُولَ وَالزِّيَادَةَ. وَهَذِهِ أَوْسَطُ حَالِ الْمُقْتَنِعِ...

وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنْ تَنْتَهِيَ بِهِ الْقَنَاعَةُ إلَى الْوُقُوفِ عَلَى مَا سَنَحَ فَلَا يَكْرَهُ مَا أَتَاهُ وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا، وَلَا يَطْلُبُ مَا تَعَذَّرَ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا. وَهَذِهِ الْحَالُ أَدْنَى مَنَازِلِ أَهْلِ الْقَنَاعَةِ؛ لِأَنَّهَا مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ. أَمَّا الرَّغْبَةُ؛ فَلِأَنَّهُ لَا يَكْرَهُ الزِّيَادَةَ عَلَى الْكِفَايَةِ إذَا سَنَحَتْ. وَأَمَّا الرَّهْبَةُ؛ فَلِأَنَّهُ لَا يَطْلُبُ الْمُتَعَذَّرَ عَنْ نُقْصَانِ الْمَادَّةِ إذَا تَعَذَّرَتْ. "أدب الدنيا والدين" (صـ: ٢٢٦).

قال أَبُو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: من أكثر مواهب الله لعباده وأعظمها خطرا القناعة وليس شيء أروح للبدن من الرضا بالقضاء والثقة بالقسم ولو لم يكن في القناعة خصلة تحمد إلا الراحة وعدم الدخول في مواضع السوء لطلب الفضل لكان الواجب على العاقل ألا يفارق القناعة على حالة من الأحوال. "روضة العقلاء" (صـ: ١٥٠).

أَفَادَتْنِي الْقَنَاعَةُ كُلَّ عِزٍّ ... وَأَيُّ غِنًى أَعَزُّ مِنْ الْقَنَاعَهْ

فَصَيِّرْهَا لِنَفْسِك رَأْسَ مَالٍ ... وَصَيِّرْ بَعْدَهَا التَّقْوَى بِضَاعَهْ

تَحَرَّزْ حِينَ تَغْنَى عَنْ بِخَيْلٍ ... وَتَنَعَّمْ فِي الْجِنَانِ بِصَبْرِ سَاعَهْ

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: لا عيش في الدنيا إلا للقنوع باليسير؛ فإنه كلما زاد الحرص على فضول العيش، زاد الهم، وتشتت القلب، واستعبد العبد. وأما القنوع، فلا يحتاج إلى مخالطة من فوقه، ولا يبالي بمن هو مثله؛ إذ عنده ما عنده. وإن أقوامًا لم يقنعوا، وطلبوا لذيذ العيش، فأزروا بدينهم، وذلوا لغيرهم، وخصوصًا أرباب العلم؛ فإنهم ترددوا إلى الأمراء فاستعبدوهم، ورأوا المنكرات، فلم يقدروا على إنكارها، وربما مدحوا الظالم اتقاء لشره؛ فالذي نالهم من الذل وقلة الدين أضعاف ما نالوا من الدنيا. "صيد الخاطر" (صـ: ٤٩٤).

## حسبك عقلك إن هجرك الخلان

حَسْـــبُ الْفَتَى عَقْلُـهُ خِلًّا يُعَـاشِـرُهُ إِذَا تَـحَـامَـاهُ إِخْـوَانٌ وَخِـلاَّنُ

يكفي الفتى العقل السليم يلازمه ويصاحبه. خلًا: صديقًا، يعاشره: يصاحبه.

"إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانٌ وَخِلاَّنُ" إذا ابتعد عنك الأصدقاء، وتركك الأصدقاء، والأصحاب، فيغنيك عنهم أن يكون عقلك رزينا نقيًا راجحًا مرشدًا تفكر في أمورك، وتحاسب نفسك، وتسلم من شر الناس.

والعقل الراجح مكانته عالية ويعلو بصاحبه، ولا يثبت في فضل العقل حديث.

وكم من الآيات يقول الله فيها: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الرعد: ٣

وقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الحشر: ٢١

وقال: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعراف: ١٧٦

وهكذا يأمر بالتدبر والنظر وقال عن الكفار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ الملك: ١٠

## تلازم التقوى والحكمة

هُمَا رَضِيعَا لِبَانٍ: حِكْمَةٌ وَتُقَىً وَسَاكِنَا وَطَنٍ: مَالٌ وَطُغْيَانُ

يقالُ لمن اشتركا في شيء لا يفترقان فيه "رَضِيعَا لِبَانٍ" رضعا من لبن واحد.

قال الثعالبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: شَرِيكا عِنان يضْرب بهما الْمثل كَقَوْلِهِم رضيعا لِبان في المتقاربين المتماثلين وَقد أحسن أَبُو تَمام في الْجمع بَينهمَا وَبَين مَا يذكر مَعَهُمَا من أشكالهما حَيْثُ قَالَ:

شَرِيكا عنان رضيعا لبان عتيقا رهان حليفا صفاء

"ثمار القلوب في المضاف والمنسوب" (صـ: ٦٨٠).

هما فرسا رهان ورضيعا لِبان [مثل]: يضرب للمتساويَيْن في الفضل وغيره.
"معجم اللغة العربية المعاصرة "(٣/ ١٩٩٢)"

"هو أخوه بلِبان أُمِّه: أخوه الذي رَضَع من ثدي أمِّه، والمراد توكيد معنى الأخوّة الحميمة، ولا يقال بلبن أمّه، وإنّما اللَّبن الذي يُشرب من ناقة أو شاة أو غيرها من البهائم – غَذَتْه أمُّه بلِبانها". "معجم اللغة العربية المعاصرة "(٣/ ١٩٩٢).

وقال الثعالبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: (فرسا رهان) من أَمْثَال الْعَرَب في الِاثْنَيْنِ يَسْتَبِقَانِ إِلَى غَايَة فَيُقَال لَهما كفرسى رِهان. "ثمار القلوب"(١/ ٣٦٠).

قَالَ الشَّاعِرُ الأعشى:

رَضِيعَيْ لِبَانٍ ثَدْيَ أُمٍّ تَقَاسَمَا بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضَ لَا نَتَفَرَّقُ

تعاهد أخوان رضعا من ثدي أم واحدة أن لا يفترقا كل الدهر

قَالَ أَبُو زيد: قَوْله: عَوْض أَي أبدا، قَالَ وَأَرَادَ بأسحم داج: اللَّيْل. وَيجوز عوضَ لَا نتفرق بِالْفَتْح. قَالَ أَبُو عبيد: قَالَ أَبُو زيد، عوضُ لَا أفعل ذَلِك. وعوضَ كِلَاهُمَا بِغَيْر تَنْوِين. وَالنّصب فِي عَوْض أَكثر وَأفْشى. "تهذيب اللغة"(٣/ ٤٥).

وقال آخر:

**هما رضيعا لبان عفّةٌ وتقى وحسنُ ذكرٍ شذاهُ فائحٌ عطر**

يقالُ: السّفر والأخوّة رضيعا لبان. والعجز والتواني رضيعا لبان. والسيف والقلم توأمان وهما رضيعا لبان وفرسا رهان لا قوام لأحدهما إلا بالآخر.

فالحكمة والتقى متلازمان لا يفترقان.

"وَسَاكِنا وَطَنٍ": مَالٌ وَطُغْيَانُ" المال والطغيان أيضاً في الغالب لا يفترقان

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ العلق: ٦ – ٧

ويحملهم ذلك المال على التعدي والإعراض قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٤ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٣٥ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ سبأ: ٣٤ – ٣٧.

## أرض الله واسعة

إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنٌ فَلَهُ وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الأَرْضِ أَوْطَانُ

نَبا بفلان منزلُه، إذا لم يُوافقه...نَبا بِي فلانٌ، إذا جَفانِي... ونَبت بِي تِلْكَ الأَرْضُ، أَي لم أَجد بهَا قَرارًا. "تهذيب اللغة" (١٥/ ٣٤٨)". والمعنى: إذا لم يوافقك الموطن وضاق عليك؛ لجفوة، أو سوء جوار، أو نحو ذلك، فلك مواطن أخرى كثيره فأرض الله واسعة انتقل إليها: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ العنكبوت: ٥٦ ﴿ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ النساء: ٩٧ ﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗ ﴾ النساء: ١٠٠

قال الشنفرى:

وَفي الأَرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأَذى وَفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ

لَعَمرُكَ ما في الأَرضِ ضيقٌ عَلى اِمرِئٍ سَرى راغِبًا أَو راهِبًا وَهوَ يَعقِلُ

وقال آخر:

وإذا الدِّيارُ تنكّرتْ عن حالها فدعِ الدّيارَ وبادرِ التَّحْويلا

ليس المقامُ عليك فرضًا واجبًا في منزلٍ يدعُ العزيزَ ذليلا

وقال الشاعر:

وَإِذا رَأَيتَ الرِزقَ ضاقَ بِبَلدَةٍ وَخَشيتَ فيها أَن يَضيقَ المكسَبُ

فَارحَل فَأَرضُ اللَهِ واسِعَةُ الفَضا طُولًا وَعَرضًا شَرقُها وَالمَغرِبُ

## عاقبة الظلم وخيمة فلا تفرح به

يَا ظَالِمًا فَرِحًا بِالعِزِّ سَاعَدَهُ إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةٍ فَالدَّهْرُ يَقْظَانُ

المعنى: يامن تظلم متقويًا بالسلطان والقوة والأتباع، وساعدتك هذه الأشياء فرحا بذلك؛ فإن كنت في سِنة، في نعاس وغفلة فإن الله تعالى مطلع عليك ويراك ويمهل ولا يهمل. وإذا أراد أن الدهر هو الذي سينتقم للمظلوم فهذا غير صحيح.

وإن أراد بذلك أن من تأمل التاريخ ونظر فيه عرف عواقب الظالمين وكيف انتقم الله منهم، فمعناه صحيح، وهذا الظاهر، والله أعلم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ إبراهيم: ٤٢

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ هود: ١٠٢ رواه البخاري(٤٦٨٦)، ومسلم(٢٥٨٣)

قال الشاعر

أَمـا وَاللهِ إِنَّ الـظُّـلـمَ لـومُ وَمـا زالَ المُسـيءُ هُوَ الظَلومُ
إِلى دَيّانِ يَومِ الـدينِ نَمضـي وَعِـنـدَ اللهِ تَـجـتَـمِـعُ الـخُصـومُ
سَـتَعلَمُ في الحِسـابِ إِذا اِلتَقَينا غَـداً عِـنـدَ الإِلَـهَ مَـنِ المَـلـومُ

وقال آخر:

لا تـظلَـمَـنَّ إذا مـا كُـنـتَ مُـقـتَـدِرًا فالظُّلمُ مَـرتَعَـهُ يُـفضي إلى الـنَدَمِ
تَـنـامُ عَـيْـنُـكَ والمـظـلـومُ مُـنـتَـبِـهٌ يَـدعُـو عـلَـيْـكَ وعَـيْنُ اللهِ لـم تَـنَـمِ

## الظالم منزوع الراحة واللذة

مَا اسْتَمْرَأَ الظُّلْمَ لَوْ أَنْصَفْتَ آكِلُهُ وَهَلْ يَلَذُّ مَذَاقَ المَرْءِ خُطْبَانُ

أي: الظالم ما استطاب وتهنأ بأكل الظلم وهو يسمع جزاء الظالمين وعذابهم بل يكون غصصا عليه في حلقه وناراً في بطنه.

قوله: "وَهَلْ يَلَذُّ مَذَاقَ المَرْءِ خُطْبَانُ" الخُطبان: الحنظل، وهو شديد المرارة ويضرب به المثل فيها. وفي الحديث عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ». رواه البخاري(٥٠٢٠)، (٥٤٢٧)، (٧٥٦٠) ومسلم(٧٩٧). والمعنى: هل يستطيب ويتلذذ الإنسان بأكل الحنظل. فكما لا يتلذذ بالحنظل فكذلك الظالم لا يتلذذ بحقوق المظلومين. وإذا حصل له شيء فإنما هي مدة يسيرة ويجني المرارة والغصص والعواقب الوخيمة.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: كَمْ تَنَعَّمَ بِمَالِ الْمَظْلُومِ الظَّالِمُ، وَبَاتَ لا يُبَالِي بِالْمَظَالِمِ، وَالْمَسْلُوبُ يَبْكِي وَيُبْكِي الْحَمَائِمَ، وَمَا كَفَاهُمْ أَخْذُ مَالِهِ حَتَّى حَبَسُوهُ ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ المجادلة: ٦. أَيْنَ مَا كَانُوا جَمَعُوهُ، كَمْ لِيمُوا وَمَا سَمِعُوهُ، كَمْ قِيلَ لَهُمْ لَوْ قَبِلُوهُ، ذَهَبَ الْعَرَضُ غَيْرَ أَنَّ الْعِرْضَ دَنَّسُوهُ ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ المجادلة: ٦. "التبصرة"(١/٣٥٩-٣٦٠).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: سبحان الله كم بكت في تنعم الظالم عين أرملة واحترقت كبد يتيم وجرت دمعة مسكين ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ المرسلات: ٤٦ ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٨٨ .

ما ابيضَّ لونُ رَغِيْفِهِم حتى اسودَّ لونُ ضعيفِهم، وما سَمِنَت أجَسَامُهُم حتى انتحلت أجسامُ ما استأثروا عليه.

لا تحتقر دعاء المظلوم فشرر قلبه محمول بعجيج صوته إلى سقف بيتك. ويحك نبال أدعيته مصيبة وإن تأخر الوقت قوسه قلبه المقروح ووتره سواد الليل وأستاذه صاحب لأنصرنك ولو بعد حين وقد رأيت ولكن لست تعتبر.

احذر عداوة من ينام، وطرفه باك يقلب وجهه في السماء، يرمي سهاما ما لها غرض سوى الأحشاء منك، فربما ولعلها إذا كانت راحة اللذة تثمر ثمرة العقوبة لم يحسن تناولها؛ ما تساوي لذة سنة غم ساعة فكيف والأمر بالعكس. "بدائع الفوائد" (٣/ ٢٤٢). وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – نظير ذلك في "المدهش" (صـ: ٣٨٧)، وبنحوه في "اللطائف (صـ: ٧). ابن الجوزي توفي: ٥٩٧هـ، وابن القيم: توفى: ٧٥١هـ.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: كم من دَار دارت بنعم النعم دارت عَلَيْهَا دوائر النقم. "المدهش" (صـ: ٣٨٧).

## منزلتك الحقيقية بالعلم

يَـا أَيُّهَـا الـعَـالِـمُ المَرْضِـيُّ سِـيرَتُـهُ أَبْشِـــرْ فَـأَنْـتَ بِـغَـيْـرِ المَـاءِ رَيَّـانُ

وَيَا أَخَا الْجَهْلِ لَوْ أَصْـبَحْتَ فِي لُجَجٍ فَـأَنْـتَ مَـا بَـيْـنَهَـا لاَ شَـــكَّ ظَـمْـآنُ

السيرة: هي الطريقة. "المَرْضِيُّ سِيرَتُهُ" جمع بين العلم والعمل فهو سيرته حسنه مرضية بعلمه وصلاحه وأخلاقه.

"أَبْشِر" بالخير بالثناء الحسن بالرفعة الحقيقية حسًا ومعنى، وكم كم لأهل العلم من البِشارات في الدنيا والآخرة.

و"ريان": شبعان، وأصل الارتواء: الشبع من الماء.

"فَأَنْتَ بِغَيْرِ المَاءِ رَيَّانُ" أنت بعلمك وعملك وإيمانك في طمأنينة وقناعة وسعادة وغنى.

لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذِكْرَاكَ تَشْـغَلُهَا عَـنِ الـشَّرَابِ وَتُلْهِيهَا عَنِ الـزَّادِ

"وَيَا أَخَا الْجَهْلِ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي لُجَجٍ" اللجة: لجة الْبَحْر وَهُوَ مُعظم مَائه وَالْجمع لج ولجج. "جمهرة اللغة" (١/ ٤٩٤).

"فَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لاَ شَكَّ ظَمْآنُ" أي: لا شك عطشان.

والمعنى: أنت أيها الجاهل لو دخلت في لجج البحار فأنت ظمآن عطشان من العلم من المعرفة من الأنس بالله تعالى من راحة العلم وحلاوة الإيمان، فالناس بغير العلم والإيمان عطشى.

## من المحال دوام الحال

**لاَ تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا  مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ**

لا تظن بأن السرور يبقى على الدوام في الدنيا، فإذا سرك زمن ساءتك أزمنه كثيرة.

**ثمانية عمت بأسبابها الورى  فكل امرئ لا بد يلقى الثمانية**

**سرور وحزن واجتماع وفرقة  وعسر ويسر ثم سقم وعافية**

وقال آخر:

**على ذا مضى الناسُ اجتماعٌ وفرقةٌ  ومَيْتٌ ومولودٌ وقالٍ ووامقُ**

فالدنيا دار بلاء، ونكد، وأتعاب، ومنغصات لا دار راحة وقرار

قال مَسْرُوقٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ – قَالَ: «مَا دَخَلَ بَيْتًا حَبْرَةٌ إِلَّا دَخَلَتْهُ عَبْرَةٌ». رواه ابن أبي شيبة في "مصنفه"(٣٥٢٢٨)، وأبو نعيم"حلية الأولياء" (٢/ ٩٧). وسنده حسن.

وجاء عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بسند صحيح، بلفظ: «مَعَ كُلِّ فَرْحَةٍ تَرْحَةٌ، وَمَا مُلِئَ بَيْتٌ حَبْرَةً إِلَّا مُلِئَ مِثْلَهَا عَبْرَةً». رواه أبو داود في "الزهد"(١٣٦)، ووكيع في "الزهد"(٥٠٧)، ومن طريقه أحمد في "الزهد"(٩٠١). وروي مرفوعًا ولا يثبت؛ لأنه مرسل.

قالَ ابنُ منظور: والعَبْرة: الدَّمْعة، وَقِيلَ: هُوَ أَن يَنْهَمِل الدَّمْعُ وَلَا يُسْمَعَ الْبُكَاءُ، وَقِيلَ: هِيَ الدَّمْعَةُ قَبْلَ أَن تَفيض، وَقِيلَ: هِيَ تردُّد الْبُكَاءِ فِي الصَّدْرِ، وَقِيلَ: هِيَ الْحُزْنُ بِغَيْرِ بُكَاءٍ، وَالصَّحِيحُ الأَول. "لسان العرب" (٤/ ٥٣١).

الْفرق بَين السرُور والحبور

أَن الحبور هُوَ النِّعْمَة الْحَسَنَة من قَوْلك: حبرت الثَّوْب إِذا حسنته، وَفسّر قَوْله تَعَالَى: (فِي رَوْضَة يحبرون) أَي: ينعمون، وَإِنَّمَا يُسمى السرُور حبورا؛ لِأَنَّهُ يكون مَعَ النِّعْمَة الْحَسَنَة، وَقيل فِي الْمثل: مَا من دَار ملئت حبرَة إِلَّا ستملأ عَبْرَة.

قَالُوا: الْحِبرَة هَهُنَا السرُور، وَالْعِبْرَة: الْحزن... "الفروق اللغوية" للعسكري (صـ: ٢٦٦).

رَأَيتُ الدَهرَ مُختَلِفًا يَدورُ ... فَلا حُزنٌ يَدومُ وَلا سُرورُ

وَقَد بَنَتِ المُلوكُ بِهِ قُصورًا ... فَلَم تَبقَ المُلوكُ وَلا القُصورُ

وقَالَ ابْنُ سِيرِينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: مَا كَانَ ضَحِكٌ قَطُّ إِلَّا كَانَ بَعْدَهُ بُكَاءٌ. أخرجه ابن أبي الدنيا في "الاعتبار وأعقاب السرور" (رقم٥). وسنده حسن فيما يظهر، والله أعلم.

قال ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَقَدْ شَاهَدَ النَّاسُ مِنْ تَغَيُّرِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا فِي أَسْرَعِ مَا يَكُونُ الْعَجَائِبَ. "الآداب الشرعية"(٢/ ١٨٨).

والمؤمن شأنه كما قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». رواه مسلم(٢٩٩٩)، عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ولا حزن يدوم ولا سرور ... ولا بؤس عليك ولا رخاء

قال أبو البقاء الرندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –:

لِكُلِّ شَيءٍ إِذا ما تَمّ نُقصانُ ... فَلا يُغَرَّ بِطيبِ العَيشِ إِنسانُ

هِيَ الأُمُورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ ... مَن سَرَّهُ زَمَن ساءَتهُ أَزمانُ

وَهَذِهِ الدارُ لا تُبقي عَلى أَحَدٍ ... وَلا يَدُومُ عَلى حالٍ لَها شانُ

وقال:

فَجائِعُ الدُهرِ أَنواعٌ مُنَوَّعَةٌ ... وَلِلزَمانِ مَسَرّاتٌ وَأَحزانُ

## الأخلاء كثير

إِذَا جَفَاكَ خَلِيلٌ كُنْتَ تَأْلَفُهُ ... فَاطْلُبْ سِوَاهُ فَكُلُّ النَّاسِ إِخْوَانُ

وَإِنْ نَبَتْ بِكَ أَوْطَانٌ نَشَأْتَ بِهَا ... فَارْحَلْ فَكُلُّ بِلاَدِ اللهِ أَوْطَانُ

" جَفَاكَ ": تركك ولم يلتفت إليك صديق لك كانت بينك وبينه ألفة ومودة فابحث عن غيره فالناس كثير وأهل الإيمان إخوان والله يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠ .

فالمراد بالناس: أهل الإسلام، مع الحذر من مجالسة، ومودة أهل البدع فلا يدخلون في ذلك؛ لأنه يجب الابتعاد من مجالسهم ومجالستهم وإن كانوا من أهل الإسلام.

قال أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدُّغُولِيُّ كما في "الشعب"(٩٠٥٨) "للبيهقي:

إِذَا كُنْتُ تَأْتِي الْمَرْءَ تَعْرِفُ حَقَّهُ ... وَتَجْهَلُ مِنْكَ الْحَقَّ وَالصَّرْمُ أَوْسَعُ

فَفِي النَّاسِ أَبْدَالٌ وَفِي الْأَرْضِ مَذْهَبٌ ... وَفِي النَّاسِ عَمَّنْ لَا يُوَاتِيكَ مَقْنَعُ

وَإِنِ امْرُؤٌ يَرْضَى الْهَوَانَ لِنَفْسِهِ ... حَقِيقٌ لِجَدْعِ الْأَنْفِ وَالْجَدْعُ أَسْفَعُ

ومما ينسبُ للشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –:

إذا المَرءُ لا يَرعاكَ إلاَّ تَكَلُّفًا ... فَدَعهُ وَلا تُكثِر عَلَيهِ التَأَسُّفا

فَفي الناسِ أَبدالٌ وَفي التَركِ راحَةٌ ... وَفي القَلبِ صَبرٌ لِلحَبيبِ وَلَو جَفا

فَما كُلُّ مَن تَهواهُ يَهواكَ قَلبُهُ ... وَلا كُلُّ مَن صافَيتَهُ لَكَ قَد صَفا

إِذا لَم يَكُن صَفوُ الوِدادِ طَبيعَةً ... فَلا خَيرَ في وِدٍّ يَجيءُ تَكَلُّفا

وَلا خَيرَ في خِلٍّ يَخونُ خَليلَهُ ... وَيَلقاهُ مِن بَعدِ المَوَدَّةِ بِالجَفا

وَيُـنـكِـرُ عَـيشًـــا قَـد تَـقـادَمَ عَـهـدُهُ وَيُظهِرُ سِـــرًّا كـانَ بِـالأَمسِ قَـد خَـفـا

سَـــلامٌ عَلى الـدُنيـا إِذا لَم يَكُن بِهـا صَـديقٌ صَدوقٌ صادِقُ الوَعدِ مُنصِفا

"وَإِنْ نَبَتْ بِكَ أَوْطَانٌ نَشَأْتَ بِهَا": نَبت بِي تِلْكَ الأَرْضُ، أَي: لم أَجد بهَا قَرارًا. "تهذيب اللغة" (١٥/ ٣٤٨).

"نشَأْتَ" أي: تربيت فيها وترعرعت فيها.

"فَارْحَلْ فَكُلُّ بِلاَدِ اللهِ أَوْطَانُ" أي: انتقل من موطنك فأرض الله واسعة.

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ العنكبوت: ٥٦.

## لا تفسد زمن شبابك

يَا رَافِلًا فِي الشَّبَابِ الرَّحْبِ مُنْتَشِيًا مِنْ كَأْسِهِ هَلْ أَصَابَ الرُّشْدَ نَشْوَانُ

"الرفل": التبختر. "فِي الشَّبَابِ الرَّحْبِ مُنْتَشِيًا" وفي بعض النسخ "الوَحْفُ" ومعناه: الشعر الشديد السواد اللين. "مجمل اللغة" لابن فارس (صـ: ٩١٩).

والرحب: الرَّحْبُ والرَّحيبُ: الشيءُ الواسعُ. "تهذيب اللغة" (٥/ ١٨).

"مُنْتَشِيًا" يقال: انتشى الشَّخصُ: بدأ سُكْرُه "ينتشي بالخمر". والمراد هنا: معجبًا بشبابه وقوته.

"مِنْ كَأْسِهِ هَلْ أَصَابَ الرُّشْدَ نَشْوَانُ" والرشد: خلاف الغواية، الوصول إلى البلوغ

والنشوان: هو السكران.

المعنى: يا متبخترًا يا مغترًا بسن الشباب القوي الواسع معجبًا به ولم يتفكر في عواقبه هل يكون الرجل السكران رشيدا صالحا مستقيما؟ فالجواب: لا، بل يكون في سكر وغفلة وهكذا من يضيع شبابه هو في سكرة العجب بالشباب.

والشباب: هو مرحلة القوة فيجب استغلالها في الخير والعلم والعبادة

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ الروم: ٥٤

والناشىء على العبادة في ظل الله يوم القيامة عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ). الحديث رواه البخاري(٦٦٠)، (١٤٢٣)، (٦٧٠٦)، ومسلم(١٠٣١).

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ –: فإن الشباب شعبة من الجنون، وَهُوَ داع للنفس إلى استيفاء الغرض من شهوات الدنيا ولذاتها المحظورة، فمن سلم مِنْهُ فَقَدْ سلم. "فتح الباري" لابن رجب (٦/ ٤٧).

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ –: لأن الجنون يزيل العقل وكذا الشباب قد يسرع إلى قلة العقل لما فيه من كثرة الميل إلى الشهوات والإقبال على المضار لحداثة السن سيما مع الجدة. "فيض القدير" (٢/ ١٧٧).

قَالَ بَعْضُهُم:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَهْ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَهْ

وَقَالَ ابْنُ الْفَارِضِ:

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمُ

"مرقاة المفاتيح"(٨/ ٣٢٢٥).

وأمر رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ باستغلال مرحلة الشباب التي سماها ابن الجوزي باكورة الحياة.

عَنِ ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ». رواه الحاكم (٧٨٤٦)، والبيهقي في "الشعب" (٩٧٦٧)، وغيرهم. وصححه الألباني "صحيح الجامع الصغير"(١٠٧٧).

فيستغل بالعلم بالحفظ بالعبادة بالدعوة

**فَمَن لَم يَذُق مُرَّ التَعَلُّمِ ساعَةً ... تَجَرَّعَ ذُلَّ الجَهلِ طولَ حَياتِهِ**

**وَمَن فاتَهُ التَعليمُ وَقتَ شَبابِهِ ... فَكَبِّر عَلَيهِ أَربَعاً لِوَفاتِهِ**

وقال الأصمعي رَحِمَهُٱللَّهُ –: من لم يتحمل ذُلَّ التعلم ساعة بقي في ذُلِّ الجهل أبداً.

"تاريخ دمشق" لابن عساكر (٣٧/ ٨٢).

## لا تغتر بشبابك

لاَ تَغْتَرِرْ بِشَبَابٍ رَائِقٍ نَضِرٍ فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشِّيبِ شُبَّانُ

الغرور: هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع. "التعريفات"(صـ: ١٦١). والغَرور بالفتح الشيطان وبالضم الأباطيل

وَقَالَ الأصمعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: الغَرورُ: الّذي يَغُرُّكَ "تهذيب اللغة" (٨/ ١٩).

قال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: الرُّوق: الغِلمان الملاح فالواحد رائق. وَيُقَال: غِلْمانٌ رُوقة كَمَا يُقَال صَاحب وصُحْبة، وفارِهٌ وفُرْهةٌ. "تهذيب اللغة" (٩/ ٢١٨).

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: (نَضَرَ) النُّونُ وَالضَّادُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى حُسْنٍ وَجَمَالٍ وَخُلُوصٍ. مِنْهُ النَّضْرَةُ: حُسْنُ اللَّوْنِ، وَنَضَرَ يَنْضُرُ. وَنَضَّرَ اللَّهُ وَجْهَهُ: حَسَّنَهُ وَنَوَّرَهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا». وَأَخْضَرُ نَاضِرٌ. وَيُقَالُ هَذَا فِي كُلِّ مُشْرِقٍ حَسَنٍ. "مقاييس اللغة" (٥/ ٤٣٩).

وفي بعض النسخ "خضِل" خضِل أي: رَطْبٌ، والخَضِلُ: النباتُ الناعم. "الصحاح"(٤/ ١٦٨٥).

فالمعنى: لا تُصاب بالغرور والإعجاب بشبابك وحسنه وجماله ونعومته وملاحته

"فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشِّيبِ شُبَّانُ" أي: فكر واتعظ، كم تقدم قبل الشيب شبان

كم سبق قبل "الشيب" الشيبُ: جمع أَشْيَبَ."الصحاح "(١/ ١٦٠)، والْأَشْيَبُ: الْمِبْيَضُّ الرَّأْسِ. "مختار الصحاح" (صـ: ١٧١).

هذا مصيرك ستذهب تلك الملامح والصفات والنضارة والحسن، ويبيض شعرك ويتجعد جلدك وتضعف قواك العقلية والجسدية.

قال أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: مَا شَبَّهْتُ الشَّبَابَ إِلاَّ بِشَيْءٍ كَانَ فِي كُمِّي، فَسَقَطَ. "طبقات الحنابلة" (١/ ٧٦)، "سير أعلام النبلاء" ط الرسالة (١١/ ٣٠٥).

فلا تأمن أن يباغتك الأجل في شبابك فقد مات الكثير منهم قبل مرحلة الشيب.

ولذلك قال ابنُ الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –"صيد الخاطر" (صـ: ٢٠٥):

يجب على من لا يدري من يبغته الموت أن يكون مستعدًّا، ولا يغتر بالشباب والصحة، فإن أقل من يموت الأشياخ، وأكثر من يموت الشبان، ولهذا يندر من يكبر، وقد أنشدوا:

يُعَمَّرُ وَاحِدٌ فَيَغُرُّ قَوْمًا ... وَيَنْسَى مَنْ يَمُوْتُ مِنَ الشَّبَابِ

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: يَا معشر الشَّبَاب هَذَا زمَان ربيعكم فَأَيْنَ زهر علومكم؟ يَا معشر الكهول هَذَا أوان خريفكم فَأَيْنَ ثَمَر أعمالكم؟

يَا من قد عَاشَ فِي الاسلام بُرْهَة من الزَّمَان فِي سَماع الحَدِيث النَّبَوِيّ وَالْقرَآن أيْنَ آثَار ذَلِك فِي أعمالكم وأحوالكم؟

هَذِه أرْض حرث آخرتك هامدة مَا اهتزت بالأعمال الصَّالِحَة وَلَا ربت.

هَذِه سيوف عزمك كلما ضربت فِي جِهَاد النَّفس والشيطان نبت إذا كَانَ الْبَلَد طيبا خرج نَبَاته بِإِذن ربه وإذا جنت لَا تخرج إلا نكدا. "التذكرة في الوعظ" (صـ: ٤٣).

قال أَبُو حَفْص الشَّطرنجيّ عمر بن عبد الْعَزِيز:

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ ... وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَاكَ الْخُطُوبُ

فكُنْ مستعدًا لداعِي الفنا ... فإن الذي هو آتٍ قريبُ

ألسْنا نَرَى شهواتِ النُفوسِ ... تفْنَى وتبقى علينا الذُّنوبُ

وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضَ الطَّبِيبُ ... فَعَاشَ الْمَرِيضُ وَمَاتَ الطَّبِيبُ

يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ ... فَكَيْفَ ترى حَال مَنْ لَا يَتُوبُ

"المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" (١٠/ ١٨٤)، "المجالسة وجواهر العلم "(٣/ ٣٣)، "تاريخ بغداد وذيوله" ط العلمية (٢٠/ ٦٩)، ونسبت لأبي العتاهية كما في "بغية الطلب في تاريخ حلب" (٤/ ١٧٩٨).

## الشيب زمن انقطاع اللذات

**وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْنَاصَحْتَ نَفْسَكَ لَمْ يَكُنْ لِمِثْلِكَ فِي اللَّذَّاتِ إِمْعَانُ**

يا أيها الشائبُ لو وقفتَ مع نفسك ناصحاً متفكراً في بعدِك عن اللهِ، وإعراضِك، وقرب رحيلك لم تتلذذْ بالملذات، والمخالفات، وتمعن فيها، وستقبل على الطاعات.

وفي بعض النسخ "في الإسراف إمعان" والإسراف مجاوزة الحد.

ويجب على مثلك الاستعداد للدار الآخرة فأنت على وشك الفراق والرحيل.

ويقبح بكبير السن أن يلهث وراء الملذات والمنكرات ولهذا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: " ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ -قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ -وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ " رواه مسلم(١٠٧)، عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ -: وَأَمَّا تَخْصِيصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى الشَّيْخَ الزَّانِي وَالْمَلِكَ الْكَذَّابَ وَالْعَائِلَ الْمُسْتَكْبِرَ بِالْوَعِيدِ الْمَذْكُورِ فَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: سَبَبُهُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الْتَزَمَ الْمَعْصِيَةَ الْمَذْكُورَةَ مَعَ بُعْدِهَا مِنْهُ وَعَدَمِ ضَرُورَتِهِ إِلَيْهَا وَضَعْفِ دَوَاعِيهَا عِنْدَهُ وَإِنْ كَانَ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ لَكِنْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ إِلَى هَذِهِ الْمَعَاصِي ضَرُورَةٌ مُزْعِجَةٌ ولا دواعي متعادة أَشْبَهَ إِقْدَامُهُمْ عَلَيْهَا الْمُعَانَدَةَ وَالِاسْتِخْفَافَ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَقَصْدَ مَعْصِيَتِهِ لَا لِحَاجَةٍ غَيْرِهَا فَإِنَّ الشَّيْخَ لِكَمَالِ عَقْلِهِ وَتَمَامِ مَعْرِفَتِهِ بِطُولِ مَا مَرَّ عَلَيْهِ مِنَ الزَّمَانِ وَضَعْفِ أَسْبَابِ الْجِمَاعِ وَالشَّهْوَةِ

لِلنِّسَاءِ وَاخْتِلَالِ دَوَاعِيهِ لِذَلِكَ عِنْدَهُ مَا يُرِيحُهُ مِنْ دَوَاعِي الْحَلَالِ فِي هَذَا وَيُخَلِّي سره منه فكيف بالزنى الْحَرَامِ وَإِنَّمَا دَوَاعِي ذَلِكَ الشَّبَابُ وَالْحَرَارَةُ الْغَرِيزِيَّةُ وَقِلَّةُ الْمَعْرِفَةِ وَغَلَبَةُ الشَّهْوَةِ لِضَعْفِ الْعَقْلِ وَصِغَرِ السِّنِّ.

هكذا في "شرح مسلم" (ولا دواعي متعادة)، ولعل الصواب (معتادة)، أو (متعددة)، والله أعلم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: فَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ اشْتَرَكُوا فِي هَذَا الْوَعِيدِ وَاشْتَرَكُوا فِي فِعْلِ هَذِهِ الذُّنُوبِ مَعَ ضَعْفِ دَوَاعِيهِمْ؛ فَإِنَّ دَاعِيَةَ الزِّنَا فِي الشَّيْخِ ضَعِيفَةٌ وَكَذَلِكَ دَاعِيَةُ الْكَذِبِ فِي الْمُلْكِ ضَعِيفَةٌ؛ لِاسْتِغْنَائِهِ عَنْهُ وَكَذَلِكَ دَاعِيَةُ الْكِبْرِ فِي الْفَقِيرِ فَإِذَا أَتَوْا بِهَذِهِ الذُّنُوبِ مَعَ ضَعْفِ الدَّاعِي دَلَّ عَلَى أَنَّ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ الشَّرِّ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَ بِهِ مَنْ الْوَعِيدِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُهُمْ. "مجموع الفتاوى" (١٨/ ١٤).

## لا عذر للشائب في الغواية

هَبِ الشَّبِيبَةَ تُبْدِي عُذْرَ صَاحِبِهَا مَا عُذْرُ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ

"هَبِ": (هَبْ) زَيْدًا مُنْطَلِقًا بِوَزْنِ دَعْ بِمَعْنَى احْسَبْ وَلَا يُسْتَعْمَلُ مِنْهُ مَاضٍ وَلَا مُسْتَقْبَلٌ. "مختار الصحاح" (صـ: ٣٤٦). "الشَّبِيبَةَ": حداثة السن، "تُبْدِي": تظهر.

كما يقال: لنفرض بأن حداثة الشباب تظهر عذر الشاب، فما هو عذر الشائب يغويه ويضله الشيطان!؟

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: فَإِن شبق الشَّبَاب يغلب أَصْحَابه فيقصدون قَضَاء الوطر لَا الْمُخَالفَة، وَالشَّيْخ إِنَّمَا يَزْنِي على تكلّف، فالمعصية فِي حَقه أقوى من الإلتذاذ. "كشف المشكل"(٣/ ٥٧١).

جاء حديث: «مَن لم يَرْعَوِ عندَ الشَّيبِ، ولم يَستَحِ مِن العَيبِ، ولم يخْشَ اللهَ بالغَيبِ، فليسَ للهِ عزَّ وجلَّ فيه حاجةٌ». عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً. أخرجه ابن جميع في "معجم الشيوخ" (صـ ٣٧٥)، وعنه الذهبي في "ميزان الاعتدال" (٤/ ٤٦٢).

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: خبر باطل. وقال: الآفة من يوسف (أي: ابن إسحاق الحلبي)، فإن الباقين ثقات. وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: موضوع. وانظر "السلسلة الضعيفة"(٥٦٩٥).

قال الإلبيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ –:

**ويَقْبُحُ بالفَتَى فِعْلُ التَّصَابِي و أقْبَحُ منه شيخٌ قدْ تَفَتَّى**

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: ما أبله من لا يعلم متى يأتيه الموت، وهو لا يستعد للقائه! وأشد الناس بلهًا وتغفيلًا من قد عبر الستين، وقارب السبعين –فإن ما بينهما هو معترك المنايا، ومن نازل المعترك، استعد–وهو مع ذلك غافل عن الاستعداد.

**قال الشَّبابُ لعلَّنا في شَيبنَا نَدَعُ الذنوبَ فما يَقُوْلُ الأَشْيَبُ**

والله، إن الضحك من الشيخ ما له معنى، وإن المزاح منه بارد المعنى، وإن تعرضه بالدنيا –وقد دفعته عنها–يضعف القوى، ويضعف الرأي. وهل بقي لابن ستين منزل؟!

فإن طمع في السبعين؛ فإنما يرتقي إليها بعناء شديد: إن قام، دفع الأرض، وإن مشى، لهث، وإن قعد، تنفس، ويرى شهوات الدنيا، ولا يقدر على تناولها، فإن أكل، كد المعدة، وصعب الهضم، وإن وطئ، آذى المرأة، ووقع دنفًا، لا يقدر على رد ما ذهب من القوة إلى مدة طويلة، فهو يعيش عيش الأسير.

فإن طمع في الثمانين، فهو يزحف إليها زحف الصغير. "صيد الخاطر" (صـ: ٢٧٧).

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: الدَّنَفُ: الْمَرَضُ الْمُلَازِمُ؛ وَالْمَرِيضُ دَنَفٌ، كَأَنَّهُ قَدْ قَارَبَ الذَّهَابَ. "مقاييس اللغة" (٢/ ٣٠٤).

## لا تقنط من رحمة الله

كُلُّ الـذُّنُـوبِ فَـإِنَّ اللهَ يَـغْـفِـرُهَـا إِنْ شَـيَّـعَ المَـرْءَ إِخْـلاَصٌ وَإِيـمَـانُ

الذنوب المراد بها ما دون الشرك بالله تعالى فلا يغفر إلا بالتوبة.

التشيع: هو السير خلف المسافر للوداع؛ وكذا خلف الجنازة.

"إِنْ شَيَّعَ المَرْءَ إِخْلاَصٌ وَإِيمَانُ" أي: صاحبه ولازمه.

يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الزمر: ٥٣.

فمادام وأنه يرافق الشخص الإخلاص، والإيمان فهو على خير وترجى له المغفرة لما حصل منه.

قال الله تعالى﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ هود: ١١٤

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». رواه الترمذي(١٩٨٧)، والحاكم(١٧٨)، والبيهقي في "الشعب"(٧٦٦٣)، وغيرهم، وجاء عن معاذ، وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وحسنه الألباني في "صحيح الجامع الصغير"(٩٧).

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنَ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ:﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ هود: ١١٤ قَالَ الرَّجُلُ: أَلِيَ هَذِهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي». رواه البخاري (٤٦٨٧)، ومسلم(٢٧٦٣).

## ذهاب دينك كسر لا يجبر

وَكُـلُّ كَـسْـرٍ فَـإِنَّ الـدِّينَ يَجْـبُرُهُ وَمَـا لِـكَـسْـرِ قَنَاةِ الدِّينِ جُـبْرَانُ

كل نقص وعيب في الصحة في المال في الولد فإن الدين يجبره جبر العظم التحم فالدين يغطي ذلك الكسر بالأجر ورفعة الدرجات والمصائب كفارة والكفارات كثيرة.

"قَنَاةِ الدِّينِ" الرمح. أي: إذا كان الكسر والإصابة في الدين فلا يجبره شيء.

وما أجمل هذه الأبيات لأبي البقاء الرندي في وصف ما حل بالأندلس من الرزية وتسلط الأعداء وأنه ليس لما حل بالإسلام هناك سلوان ولا جبران.

وَلِـلـحَـوادِثِ سَـلـوانٌ يُـهـوِّنُـهَـا وَمـا لِمَـا حَـلَّ بِـالإِسـلامِ سَـلـوانُ

دَهَى الـجَـزيـرَةِ أَمـرٌ لاَ عَـزَاءَ لَـهُ هَـوَى لَـهُ أُحُـدٌ وَانْـهَـدَّ ثَـهـلانُ

أَصَـابَهَا العَينُ فِي الإِسـلامِ فَارتَزَأَتْ حَـتَّى خَـلَـت مِـنـهُ أَقـطَـارٌ وَبُـلـدَانُ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ –:

تَبْكِيْ الحَنيفيةُ البَيْضَـاءُ مِن أَسَـفٍ كـمـا بَـكَى لِـفِـرَاقِ الإِلـفِ هَـيْـمَـانُ

حتَّى المحَـارِيْـب تِبْكِي وهي جَـامِـدَة حـتَّى المَـنَـابـرَ تَـبْـكِيْ وهي عِـيْـدَانُ

عـلى دِيـارٍ مِـن الإِسـلامِ خَـالِـيـةٍ قَـدْ أَقْـفَـرَتْ ولهَـا بـالـكُـفْـرِ عُـمْـرَانُ

حَيْثُ المساجِدَ قَدْ أَمْسَتْ كَنَائِسَ ما فِـيْـهِـنَّ إِلا نَـوَاقِـيْـس وصُـلْـبَـانُ

يـا غـافلاً ولَـهُ فـي الـدهـرِ مَـوْعِـظَـةٌ إن كُـنْـتَ فـي سِـنَـةٍ فـالـدهـرُ يَـقْـظَـانُ

وماشـــيًا مَرحَاً يُلْهِيْهُ مَوْطَنُهُ أبَعْدَ حِمْصٍ تَغُرُ المرء أوْطَانُ
تِلْكَ المصُـيْبَةُ أنْسَـتْ مَا تَقَدَّمَهَا ومَالَهَا مَعْ طَوِيْل الدهرِ نِسْـيَانُ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ –:

أعـنـدكـم نـبـأٌ مـن أهـل أنـدلـسٍ فقد سـرى بحديثِ القومِ رُكبانُ
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم قتلى وأسـرى فما يهتز إنسـان
ماذا التقـاُطع في الإسـلام بينكمُ وأنـتـمْ يـا عـبـادَ الله إخـوانُ
لا نـفـوسٌ أبِـيَّـاتٌ لـهـا هـمـمٌ أما على الخيرِ أنصـارٌ وأعـوانُ
يـا مـن لـذلـةِ قـومٍ بـعـدَ عـزّهـمُ أحـال حـالـهـمْ جـورُ وطُـغـيـانُ
الأمس كـانـوا ملـوكًا في منـازلـهـم واليـومَ هـم في بلاد الكفرِ عُبـدانُ
فلـو تراهـم حيـارى لا دليـل لـهـمْ عـلـيـهـمُ مـن ثـيـابِ الـذلِ ألـوانُ
ولـو رأيـتَ بـكاهُـم عـنـدَ بـيـعـهـمُ لـهـالـكَ الأمرُ واسـتـهـوتـكَ أحـزانُ
يـا ربَّ أمّ وطـفـلٍ حـيـلَ بـيـنـهـمـا كـمـا تـفـرقَ أرواحٌ وأبـدانُ
وطفلةً مثل حسـنِ الشـمسِ إذ طلعت كـأنـمـا هـي يـاقـوتٌ ومـرجـانُ
يـقـودُهـا العـلجُ للمكروه مكرهـةً والـعـينُ بـاكـيـةٌ والـقـلـبُ حـيرانُ
لمثـل هـذا يبكي القـلـبُ من كمـدٍ إن كان في القلـبِ إسـلامٌ وإيمـانُ

رُوي عن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ – أنه قال: فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَلَفٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ خَلَفٌ. "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم "(٧/ ٣٣)، "تاريخ دمشق" لابن عساكر (٤٥/ ٣٥٧).

عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ: يَا أَبَا أُمَيَّةَ، إِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي أَنْ لَا أَلْقَاكَ بَعْدَ عَامِي هَذَا، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكَ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجْدَعٌ، إِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَرَادَ أَمْرًا يَنْتَقِصُ دِينَكَ فَقُلْ: سَمْعٌ وَطَاعَةٌ، وَدَمِي دُونَ دِينِي ، فَلَا تُفَارِقِ الْجَمَاعَةَ "، رواه ابن أبي شيبة(٣٣٧١١)، والبيهقي في "الكبرى"(١٦٦٢٨)، وأبو بكر الخلال في "السنة"(٥٤) وابن زنجويه في "الأموال"(٣٠). وسنده صحيح.

قال القحطاني في نونيته:

ومَتَى أُمِرْتَ بِبِدْعَةٍ أَوْ زَلَّةٍ فَاهْرُبْ بِدِيْنِكَ آخِرَ البُلْدَانِ

الدِّينُ رأْسُ المَالِ فاسْتَمْسِكْ بِهِ فَضَياعُهُ مِن أَعْظَمِ الخُسْرانِ

حماسة الظرفاء

الدّينُ رأسُ المالِ فاستمسِكْ بِهِ فمن نَجَا بدِينهِ فقدْ نَجَا

شرع الفرار إلى أعالي الجبال والشِعاب؛ حفاظًا على الدين.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ». رواه البخاري (١٩)، (٣٣٠٠)، (٧٠٨٨).

ومما بوب عليه بَابٌ: مِنَ الدِّينِ الفِرَارُ مِنَ الفِتَنِ.

قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: «مَهْمَا تَلَاعَبْتَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ فَلَا تَلَاعَبَنَّ بِأَمْرِ دِينِكَ». رواه البيهقي في "الشعب"(١٥٣٩)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"(٢٩٥).

عن ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا». رواه الترمذي (٣٥٠٢) والنسائي في "الكبرى"(١٠١٦١)، وحسنه الألباني في "صحيح الجامع الصغير"(١٢٦٨). والشاهد: (وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا).

تَمَتَّعْ مِنَ الْأَيَّامِ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا ... فَإِنَّكَ فِيهَا بَيْنَ نَاهٍ وَآمِرِ
إِذَا أَبْقَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ دِينَهُ ... فَمَا فَاتَهُ مِنْهَا فَلَيْسَ بِضَائِرِ
فَلَا تَزِنُ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ... وَلَا وَزْنَ رَقٍّ مِنْ جَنَاحٍ لِطَائِرِ
فَلَمْ يَرْضَ بِالدُّنْيَا ثَوَابًا لِمُحْسِنٍ ... وَلَا رَضِيَ الدُّنْيَا عقابا لكافر

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وَأَعْظَمُ الْعُقُوبَاتِ نِسْيَانُ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ، وَإِهْمَالُهُ لَهَا، وَإِضَاعَتُهُ حَظَّهَا وَنَصِيبَهَا مِنَ اللَّهِ، وَبَيْعُهَا ذَلِكَ بِالْغَبْنِ وَالْهَوَانِ وَأَبْخَسِ الثَّمَنِ،

فَضَيَّعَ مَنْ لَا غِنَى لَهُ عَنْهُ، وَلَا عِوَضَ لَهُ مِنْهُ، وَاسْتَبْدَلَ بِهِ مَنْ عَنْهُ كُلُّ الْغِنَى أَوْ مِنْهُ كُلُّ الْعِوَضِ:

مِنْ كُلِّ شَـيْءٍ إِذَا ضَـيَّعْتَـهُ عِوَضٌ وَمَا مِنَ اللَّهِ إِنْ ضَـيَّعْتَ مِنْ عِوَضِ

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُعَوِّضُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا سِوَاهُ وَلَا يُعَوِّضُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَيُغْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُغْنِي عَنْهُ شَيْءٌ، وَيُجِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُجِيرُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَيَمْنَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يَمْنَعُ مِنْهُ شَيْءٌ، كَيْفَ يَسْتَغْنِي الْعَبْدُ عَنْ طَاعَةِ مَنْ هَذَا شَأْنُهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ؟ وَكَيْفَ يَنْسَى ذِكْرَهُ وَيُضَيِّعُ أَمْرَهُ حَتَّى يُنْسِيَهُ نَفْسَهُ، فَيَخْسَرُهَا وَيَظْلِمُهَا أَعْظَمَ الظُّلْمِ؟ فَمَا ظَلَمَ الْعَبْدُ رَبَّهُ وَلَكِنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَمَا ظَلَمَهُ رَبُّهُ وَلَكِنْ هُوَ الَّذِي ظَلَمَ نَفْسَهُ.

"الجواب الكافي" (صـ:٧٠و٧١).

فكل مصابٍ في المال أو الولد أو البدن أو الأهل أو الأرض أو المنزل فإن الدين يخفف وقع ذلك ومصيبته على الإنسان ويؤجر إذا صبر واحتسب.

وأما المصاب في الدين بذهابه وفقده، أو نقصه فلا يجبر ولا يعوض بشيء أبدا.

## خاتمة الأبيات

خُـذْهَـا سَـــوَائِـرَ أَمْـثَـالٍ مُـهَـذَّبَـةً  فِـيهَـا لِمَـنْ يَـبْـتَـغِي الـتِّـبْـيَـانَ تِـبْـيَـانُ

خذ هذه الحكم والأمثال السائرة المهذبة النافعة ففيها لمن أراد أن يتبين بيان ووضوح.

(السائر) من الشَّيْء بَاقِيه والمثل السائر الْجَارِي الشَّائِع بَين النَّاس (ج) سوائر. "المعجم الوسيط" (١/ ٤٦٧).

ثم ختمها الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله:

مَـا ضَـرَّ حَـسَّـانَهَا وَالـطَّـبْـعُ صَـائِغُهَا  إِنْ لَمْ يَصُـغْهَا قَرِيعُ الشِّـعْرِ حَسَّـانُ

المراد بحسانها: أي ناظمها.

"قَرِيعُ الشِّعْرِ" قال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: القريع: السيد. يقال: فلان قَريعُ دهره. "الصحاح" (٣/ ١٢٦٣).

والمعنى: ما ضر قائلها إن لم يكن الذي صاغها ونظمها حسان بن ثابت، فقد صاغها بطبعه وسجيته التي جرت على لسانه بغير تكلف.

## الفهرس

المقدمة ..... ٣
ترجمة أبي الفتح البستي ..... ٤
العناية بها ..... ٩
شروحها ..... ٩
اسم المنظومة ..... ١٠
مولده ..... ١١
وفاته ..... ١١
التجنيس والمطابقة ..... ١٢
المنظومة ..... ١٤
ربح الدنيا خسارة الآخرة ..... ١٨
زوال متاع الدنيا ..... ٢٥
خراب العمر ..... ٢٨
أهمية الوقت ..... ٣٣

الحرص على الوقت..... ٤٠
الوقت عند السلف..... ٤٣
الفرح بالمال لا يدوم..... ٤٨
منزلة حكم البستي..... ٥٧
الإحسان إلى الناس..... ٥٩
فائدة: أفعال لا فاعل لها..... ٦٣
خدمة الجسم..... ٦٤
فضائل النفس..... ٦٩
الصفح عن المسيء..... ٧٢
الفرق بين العفو والصفح..... ٧٤
إعانة من يأمل الخير منك..... ٧٦
الإعتصام بحبل الله..... ٨٠
تقوى الله عاقبته حميدة..... ٨٦
الإستعانة بغيره الله خذلان..... ٩٠
البخيل ليس له أصدقاء..... ٩٢

أثر الكرم في الناس..... ٩٤
المسالمة الشرعية طريق السلامة..... ٩٧
قرير العين..... ٩٧
هل المسالمة مطلقة لجميع الناس؟..... ٩٨
المسلم الكامل..... ١٠٠
العقل السليم..... ١٠٢
من عواقب التطلع للباطل..... ١٠٣
صعوبة المخالطة..... ١٠٥
قلة الصادقين..... ١٠٦
تغير الأحوال..... ١١٠
لكل زرع حصاد وعواقب..... ١١٢
لا تأمن أهل الشر..... ١١٤
بشاشة الوجه..... ١١٧
ملازمة الرفق..... ١٢٠
لا تغتر بحظ الأحمق..... ١٢٢

الإحسان عند الإمكان.....١٢٣
زينة الإنسان عدله وإحسانه.....١٢٤
صيانة الوجه.....١٢٥
البِشر في وجه العدو.....١٢٦
الكسل من أسباب الشقاوة.....١٢٧
ظِلُك في تقواك.....١٢٨
عامة الناس تبع لدولتهم.....١٢٩
ميزان الشخص عند عامة الناس.....١٢٩
لا تُعطِ سرك للمذياع.....١٣١
حفظ السر.....١٣٤
طبائع الناس مختلفة.....١٣٥
لا يستوي الماء ولا الشجر.....١٣٧
المماطلة في معروفك خدش فيك.....١٣٩
مشاورة الأمين اليقظ.....١٤٠
أوصاف المستشار التي ذكرها الناظم.....١٤٠

لكل ميدانٍ فرسانٌ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

كل أمر له وقته.....١٤٤

العجلة مذمومة.....١٤٥

التأني وعدم العجلة من أخلاق النبوة وجزء من أجزائها.....١٤٨

التغير المفاجئ.....١٤٩

يكفيك ما سد حاجتك.....١٥٠

القناعة طريق السعادة.....١٥١

حسبك عقلك إن هجرك الخلان.....١٥٥

تلازم التقوى والحكمة.....١٥٦

أرض الله واسعة.....١٥٨

عاقبة الظلم وخيمة فلا تفرح به.....١٥٩

الظالم منزوع الراحة واللذة.....١٦٠

منزلتك الحقيقية بالعلم.....١٦٢

من المحال دوام الحال.....١٦٣

الأخلاء كثير.....١٦٥

لا تفسد زمن شبابك.....١٦٧
لا تغتر بشبابك.....١٧٠
الشيب زمن انقطاع اللذات.....١٧٣
لا عذر للشائب في الغواية.....١٧٥
لا تقنط من رحمة الله.....١٧٧
ذهاب دينك كسر لا يجبر.....١٧٨
خاتمة الأبيات.....١٨٣
الفهرس.....١٨٤

# صدر للمؤلف

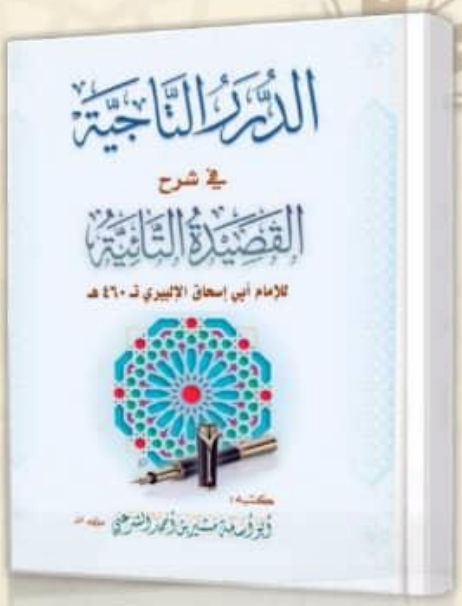
الدرر الناجية
في شرح
القصيدة التائية
للإمام أبي إسحاق الإلبيري ت ٤٦٠ هـ

جميل القيم
في شرح
عنوان الحكم
لأبي الفتح علي بن محمد البستي
كتبه أبو أسامة
مبشر بن أحمد الشرعي

إتحاف الأكارم
ببعض
احكام الولائم
كتبه أبو أسامة
مبشر بن أحمد الشرعي
حفظه الله

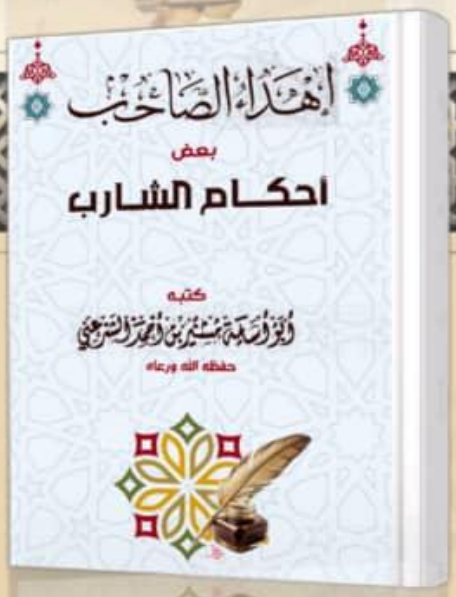
إهداء الصاحب
ببعض
احكام الشارب
كتبه
أبو أسامة مبشر بن أحمد الشرعي
حفظه الله ورعاه